

صَلَّى
عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

تاريخ الدعوة في عهد النبي

وفقه الدعوة منه

الدكتور عبدالرحمن بن سليمان الخليفة
قسم الدعوة والاحتساب - كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) .

﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ۖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ^(٢) .

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ ^(٣) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيد الأولين والآخرين ، الذي بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالرسالة ليكون رحمة للعالمين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) . فبلغ الرسالة ، ودعا إلى الله بإذنه ، فكان سراجاً منيراً ، إذ تقشعت به ظلمات الكفر والضلال ، وأشرق نور الهداية على يديه فعمّ العالم هذا النور ، وسعدت الأمم ، وتكونت الأمة الإسلامية فقهزت الكفر في الأرض ، وحطمت الفرس والروم ، وأحلت دولة الإسلام مكانهما .

وإن مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع النظر فيه وقتا ليس باليسير، وقد أعانني على النظر فيه - بعد عون الله - أن قمت بتدريس مادة السيرة النبوية خلال أربع سنوات بالإضافة إلى مواد الدعوة ثم أسند إليّ أخيراً تدريس مادة تاريخ الدعوة في مرحلة الدراسات العليا بقسم الدعوة والاحتساب في كلية الدعوة والإعلام التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فوجدت أن هذا العهد - أعني عهد الرسول ﷺ - بحاجة إلى الكتابة فيما يتعلق بتاريخ الدعوة فيه، واستنباط فقه الدعوة منه؛ لأن هذا العهد هو خير عهد يدرس تاريخه ويستفيد منه الدعاة في العصر الحاضر وفي كل عصر، وذلك أن هذا العهد هو عهد تنزل الوحي على الرسول ﷺ فيه، فكان القرآن ينزل حسب الحوادث، وهذا له أثره في إيجاد الحلول المطلوبة لكل قضية، وأمر آخر مهم وهو أن الرسول ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - عاشوا خير القرون، ففيهم قدوة وأسوة لمن أراد أن يسير في دعوته على منهج صحيح وطريق مستقيم.

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج الآتي :

- ١ - كان المرجع الأساس لهذا الكتاب القرآن الكريم، وما ورد عن الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، مع الاستئناس بما ورد عن السلف الصالح من هذه الأمة من أقوال.
- ٢ - عزوت كل آية كريمة إلى موضعها من السورة في كتاب الله تعالى.
- ٣ - خرجت الأحاديث الواردة في ثنايا هذا البحث من الكتب المعتمدة.
- ٤ - حرصت على ألا أستدل بالأحاديث الضعيفة وإن كانت دلالتها على الموضوع ظاهرة.
- ٥ - قمت بإيضاح الألفاظ الغامضة بالرجوع إلى معاجم اللغة.

- ٦ - عزوت المعلومة الواحدة إلى أكثر من مرجع إثراء للمعلومة .
- ٧ - قمت بوضع الهوامش في الكتاب حسب قواعد البحث العلمي .
- ٨ - ختمت الكتاب بخاتمة اشتملت على نتائج البحث .
- ٩ - قمت بعمل فهرس للمصادر ، والمراجع .

خطة البحث:

وقد جاءت خطة البحث على النحو الآتي :

المقدمة:

الفصل التمهيدي، ويشتمل على:

- ١ - تعريف كلمة تاريخ وكلمة دعوة مع نبذة عن وضع التاريخ .
- ٢ - التعريف المختار لتاريخ الدعوة .
- ٣ - فائدة دراسة تاريخ الدعوة .
- ٤ - لمحة عن تاريخ الدعوة قبل عهد النبي ﷺ .

الفصل الأول: تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ .

تمهيد عن حال البشرية قبيل البعثة .

المبحث الأول: أساس الدعوة النبوية .

المبحث الثاني: انطلاق الدعوة النبوية .

المبحث الثالث: إعلان الدعوة لقوم النبي ﷺ وموقفهم منها .

المبحث الرابع: مخاطبة العرب قاطبة بالدعوة وقاتل أعدائها .

المبحث الخامس: عالمية الدعوة النبوية .

الفصل الثاني: فقه الدعوة المستنبط من تاريخ دعوة النبي ﷺ .

المبحث الأول: فقه الدعوة المتعلق بموضوع الدعوة .

المبحث الثاني: فقه الدعوة المتعلق بمنهج الدعوة .

المبحث الثالث: فقه الدعوة المتعلق بالداعي .

المبحث الرابع: فقه الدعوة المتعلق بالمدعو .

المبحث الخامس: فقه الدعوة المتعلق بنتائج الدعوة .

خاتمة: وتشتمل على نتائج البحث .

هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكون
لنا ذخراً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وألا يكلنا إلى
أنفسنا ، إنه هو المستعان وعليه التكلان . وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

الفصل التمهيدي

قبل الدخول في مفردات هذا البحث يجدر أن نتطرق لنقاط أساسية تعين على فهمه ولذلك الاستفادة منه على الوجه الصحيح . وهذه النقاط هي :
أولاً: كلمة تاريخ.

أ - تعريف التاريخ في اللغة.

تاريخ مصدر من «أَرَخَ» بلغة قيس ، وهو اللفظ الشائع عند العرب^(٥) ، أو «وَرَخَ» بلغة تميم وهذا غير شائع^(٦) . وقيل : إن لفظ «تاريخ» معرّب عن كلمة «ماه روز» وهي فارسية ، معناها حساب الشهور والأيام ، أو التوقيت^(٧) ، وقيل : تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه ؛ ولهذا يقال : فلان تاريخ قومه في الجود أي الذي انتهى إليه ذلك . وقيل هو إثبات الشيء^(٨) .

ب - تعريف التاريخ في الاصطلاح.

تعني كلمة «تاريخ» ، من حيث الاصطلاح الزمن والحقبة^(٩) . ولم يظهر هذا الاصطلاح بهذا المعنى إلا منذ أن أدخل عمر - رضي الله عنه - [ت: ٢٣] التقويم الهجري ، فقد ورد هذا الاصطلاح في بردية^(١٠) يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ هـ ، مما يدل على أن الكلمة كانت معروفة في ذلك الحين^(١١) ثم تطوّر مدلول هذه الكلمة إلى أن وجدت الكتب التاريخية ، وعلى هذا أصبح التاريخ عند العرب فناً يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت ، بل عما كان في العالم^(١٢) ، وموضوعه يقوم على الإنسان والزمان ، ومسائله قوامها أحوال الإنسان والزمان^(١٣) .

ثانياً: وضع التاريخ في الإسلام.

كان الناس قبل الإسلام يؤرخون ويوقتون بأي عام يكون فيه حدث بارز مشهور، فقد كان بنو إبراهيم - عليه السلام - يؤرخون من نار إبراهيم إلى بنيان البيت، ثم أرخ بنو إسماعيل من بناء البيت إلى أن تفرقوا، وهكذا حتى أرخوا بعام الفيل، وكان أهل كل قُطر يؤرخون بالحدث المهم عندهم حتى أرخوا بالأيام المشهورة كحرب البسوس وداحس إلى أن استقر الأمر في النهاية على التقويم الهجري^(١٤).

يقول ابن الأثير [ت: ٦٣٠هـ]^(١٥): «الصحيح المشهور أن عمر بن الخطاب [ت: ٢٣هـ] أمر بوضع التاريخ، وسبب ذلك أن أبا موسى الأشعري^(١٦) [ت: ٥٢هـ] كتب إلى عمر أنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم: أرخ بمبعث النبي ﷺ، وقال بعضهم: بمهاجرة رسول الله ﷺ، فقال عمر: بل نؤرخ بمهاجره فإن مهاجرته فرق بين الحق والباطل»^(١٧).

وبعد أن اتفق المسلمون على وضع هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة أساساً للتقويم الإسلامي اختلفوا في الشهر الذي يبدؤون منه، فرأى بعضهم البدء برمضان، ورأى آخرون وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - البدء برجب؛ لأنه أول الأشهر الحرم، ولكن عثمان وعلياً اقترحا أن يكون من المحرم؛ لأنه شهر حرام، فأخذ عمر برأيهما؛ لأنه شهر حرام، وهو آخر الأشهر الحرم، وهو منصرف الناس من الحج. ولأن بيعة العقبة التي بمقتضاها اتفق الرسول ﷺ مع الأوس والخزرج على الهجرة إلى يثرب حدثت في ذي الحجة ثم عزم على الهجرة في المحرم، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال المحرم. وقد جعلت العرب هذا الشهر أول السنة، وميزته لزيادة الألف واللام عن غيره من الشهور^(١٨).

ثالثاً: تعريف كلمة الدعوة.

أ - تعريف كلمة الدعوة في اللغة.

جاءت كلمة الدعوة في اللغة على معان عدة، منها :

الدعوة إلى الطعام، والنداء، والحلف، والاجتماع^(١٩). والأصل في مفهوم الدعوة أنه يعتمد على البيان والكلام كما ذكر صاحب مقاييس اللغة إذ قال : «الدعوة أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك»^(٢٠).

ب - تعريف الدعوة في الاصطلاح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -^(٢١) [ت : ٧٢٨هـ] في تعريف الدعوة : هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا^(٢٢). ونلاحظ هنا أنه - رحمه الله - نص في هذا التعريف على موضوع الدعوة وغايتها. وقريب من هذا ما ذكره سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، إذ يقول عن الأمر الذي يهتم به الدعاة : هو دلالة الناس إلى الصراط المستقيم، وهو الإسلام الذي هو دين الله الحق كما قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾^(٢٣) فسبيل الله جل وعلا هو الإسلام وهو الصراط المستقيم^(٢٤).

وإذا أردنا تعريف الدعوة على أنها فن مستقل بذاته فإننا نقول : هي علم يبحث فيه عن الكيفية التي تتم بها إمالة الناس إلى الإسلام، وإقناعهم باتباعه حسب المنهج الشرعي الصحيح.

ومن هذا نرى أن الدعوة التي ندرس تاريخها هي الكيفية التي تتم بها إمالة الناس إلى الإسلام، وإقناعهم باتباعه على مر الزمان حسب المنهج الشرعي الصحيح.

رابعاً: التعريف المختار لتاريخ الدعوة.

بعد النظر في تعريف التاريخ وتعريف الدعوة السابقين يمكن أن نعرف تاريخ الدعوة بأنه : (فَنٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ نَشْرِ الْإِسْلَامِ ، وَإِقْنَاعِ النَّاسِ بِاتِّبَاعِهِ ، ثُمَّ إِثْبَاتِهَا بِالتَّعْيِينِ وَالتَّوْقِيتِ لِإِطْلَاعِ الْأُمَّةِ عَلَيْهَا وَإِفَادَتِهِمْ مِنْهَا) .

شرح التعريف:

في قولنا: هو فن: الفن هو الضرب من الشيء، أي النوع^(٢٥) فتاريخ الدعوة نوع مستقل بذاته عن غيره من العلوم.

وفي قولنا: وإثباتها بالتعيين: أي رصد هذه المعلومات بتعيين الحادثة وأبرز الأشخاص الذين شاركوا فيها.

وفي قولنا: والتوقيت: أي ربط ذلك بالتوقيت الزمني لهذه الأحوال والمراتب.

ومن هنا نستطيع القول بأن هذا الفن الذي هو تاريخ الدعوة يعطينا التصور المطلوب عن كيفية نشر الإسلام، مثبتة بتعيين حوادثها والأشخاص الذين شاركوا فيها مقرونة بالتوقيت مما يعين على الاستفادة الكاملة من هذه المادة كما سيأتي - بعون الله تعالى - .

فائدة دراسة تاريخ الدعوة :

بعد التعرف على تعريف تاريخ الدعوة نجيب عن سؤال مهم ربما يلح على ذهن القارئ الكريم وهو ما فائدة دراسة تاريخ الدعوة؟ .

والجواب : للتاريخ بوجه عام وتاريخ الدعوة على وجه الخصوص فوائد متعددة منها :

أولاً : أن فن تاريخ الدعوة فن عزيز المذهب ، جمّ الفوائد ، شريف الغاية إذ يوقفنا على أحوال الماضين من الأنبياء في سيرهم ، والدعاة في أخلاقهم حتى تتم فائدة الاقتداء بهم لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا فهو يحتاج إلى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط ^(٢٦) .

يقول السخاوي [ت : ٩٠٢هـ] ^(٢٧) في ذلك : إن الحديث عن ذوي المروءات والأجواد المتصفين بمحاسن الأخلاق عبر التاريخ يثير في النفوس من الهمم العالية والتطلع إلى معالي الأمور ، فهذا التاريخ جمّ الفوائد ، كبير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية ؛ لما جبلت عليه طباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبه والاقتداء بأربابها ؛ ليصير لهم نصيب من طيب الذكر ومحاسن الصفات التي حرص عليها خلاصة البشر ^(٢٨) .

ثانياً : أنه جسر يصل ماضي الأمة بحاضرها .

يقول الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ (ت : ١٤٠٧) ^(٢٩) : إنه مدرسة الأجيال ، يتعلم فيه الأحياء ما ينفعهم فيعملونه ، وما يضرهم فيجتنبونه ، وهو الجسر الذي يصل ماضي كل أمة بحاضرها ، وبقدر العناية به ، والاهتمام بتدريسه تستطيع الأمم أن تبني حياتها على أسس متينة ثابتة ، كيف لا والحياة كلها بدروبها الطويلة المتعاقبة ليست إلا تاريخاً أميناً ، فالיום هو حاضرك لكنه سيكون غداً في حساب تاريخك لا يعود إليك ، ولا تمتلك تغيير معالمه .

ثم يورد كلاماً مهماً فيقول : والإنسان يبني واقعه على الماضي ، فأنت تلتقي بالأمجاد فتشد نفسك إليها ، وتلتقي بالسيء من الأحداث فتحجز

نفسك عن انتهاج الطرق المؤدية إليها، وإذا رأيت أمة قد اضطربت واختلطت عليها معالم الطريق فاعرف أن في مقدمة الأسباب لذلك انقطاع الصلة بين ماضيها وحاضرها^(٣٠) أ. هـ.

ومن هنا تبرز أهمية تاريخ الدعوة إذ به تعرف المقارنة بين ماضي الدعوة وبين حاضرها ويظهر ذلك للدعاة فيركزوا على القيم العليا، وجهود الدعاة وسلامة المنهج مع بيان ما خلفته هذه القيم والجهود وصحة المنهج من فوائد وما تركته من آثار، وفي مقابل هذا تتبين حاجة المجتمع إلى مثل هذه الدعوة والانتفاع بجهود الدعاة السابقين؛ لينال الدعاة في الحاضر ما ناله الدعاة من سلفنا الصالح من قبول ونجاح.

كما يقف الدعاة المعاصرون في هذا التاريخ على الانحرافات في مجال الدعوة التي وقعت في بعض الأحيان، وما عادت به على البلاد والعباد من الويل والفساد، ويحذرون من أن يقعوا في مثل هذه الهاوية - عياداً بالله تعالى - .

يقول ابن الأثير : إن التاريخ يزود الإنسان بالتجارب، ومعرفة الحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك الإنسان عقلاً، ويصبح لأن يقتدى به أهلاً، ولقد أحسن القائل :

رأيت العقل عقليين فمطبوع ومسموع

فلا ينفعك مسموع إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

ويعني بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلاً ثانياً توسعاً وتعظيماً وإلا فهو زيادة في عقله الأول^(٣١) .

تاريخ الدعوة قبل عهد النبي ﷺ :

اضطرار الأمم إلى الدعوة :

إن اضطرار الأمم إلى الدعوة فوق كل اضطرار ، إذ بها تُعرَفُ الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ويعرف ما جاءوا به فيُصدق ويؤمن به . وبالدعوة أيضاً تعرف الأمم أنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل وأتباعهم ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم ، فالضرورة إليهم وإلى الدعوة أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها والروح إلى حياتها^(٣٢) .

الدلالة على وجود الدعوة إلى الله تعالى قبل عهد الرسول - ﷺ - :

لقد تقرّر فيما تقدم أن ضرورة الأمم قائمة وحاجتهم ملحة إلى من ينقذهم من الضلالة ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم ، ويدلهم على طريق الهداية ، فكان أن بعث الله أنبياءه ورسله تترى لهذا الغرض من لدن نوح إلى آخرهم - عليهم الصلاة والسلام - .

وقد دلل القرآن الكريم على أن الدعوة إلى الله تعالى قديمة قدم الأديان إذ يقول الله جل وعلا : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾^(٣٣) .

من هذه الآية نعلم أن الدعوة بدأت مع أول الرسالات ، وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الرسل بالتفصيل والإجمال ، فجاء نوح وعاد وثمود ثم ذكر الله تعالى بقية الرسل من بعدهم بقوله : « لا يعلمهم إلا الله جاءتهم

رسلهم» وهؤلاء لا يحصي عددهم إلا الله، ولا يعلم مبلغهم إلا هو تعالى^(٣٤).

ثم بين الله تعالى أحوال هذه الأمم من تلك الدعوات بأنهم قالوا الرسلهم بعد دعوتهم : « إنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب » أي في شك من دعوتكم لنا . والشاهد من هذا هو إثبات وجود الدعوة، وبدء تاريخها مع بدء وجود الرسل وانطلاقهم بدعواتهم لأقوامهم، وقد جاءت قصصهم ومواقف أقوامهم من تلك الدعوات على سبيل التفصيل والإجمال في غير ما موضع من القرآن الكريم .

الفصل الأول

تاريخ الدعوة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -

تمهيد : حال البشرية قبيل البعثة :

لعل من المعلوم لكل طالب علم ما آلت إليه حال البشرية قبيل بعثة النبي ﷺ - من الانحراف العقدي^(٣٥)، والاضطراب الاجتماعي^(٣٦)، والانهيـار السياسي^(٣٧)، بسبب بعدهم عن طريق الحق والصواب، واختفاء الدعوات الصافية التي تقود الناس إلى الصراط المستقيم، وبسبب بعد الشقة بينهم وبين زمن النبوة والهداية، واتباعهم كل داعية إلى الضلالة من شياطين الإنس والجن . وقد نال هذا الانحراف كل الأمم حتى من كانوا أمل الإنسانية من أهل الكتاب - من يهود ونصارى - وأصبح أولئك أشد زيفاً وضلالاً من الوثنيين والمجوس^(٣٨).

في هذه الحقبة، وفي هذا الواقع الأليم أرسل الله تعالى نبيه إلى هذا

العالم المنحدر إلى الهاوية ، فجاء الرسول ﷺ إلى هذا العالم بدعوة صافية نقية موافقة للفطرة الإنسانية ، متدرّجة حسب مراتب الدعوة وحسب احتياج المدعويين ، مؤيدة بالمعجزات الكبرى والبراهين القاطعة ، يوصلها إلى الناس الداعي الأول في الأمة الإسلامية محمد - ﷺ - الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وينشر هذه الدعوة ، في الأقطار رجال مخلصون صدقوا ما عاهدوا الله عليه من حب للدعوة ، وتضحية في سبيل نشرها ، وقد تلقوا تأديبهم وتوجيههم من رسول الله - ﷺ - وفق منهج رباني حكيم .

مراتب دعوة النبي - ﷺ - :

ذكر ابن القيم^(٣٩) - (ت : ٧٥١ هـ) رحمه الله تعالى - لدعوة النبي ﷺ خمس مراتب ، وهي كما يلي :

الأولى : النبوة .

الثانية : إنذار عشيرته الأقربين .

الثالثة : إنذار قومه .

الرابعة : إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله ، وهم العرب قاطبة .

الخامسة : إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر^(٤٠) .

وحيث إن هذا التدرّج حسب المراتب يتفق مع التسلسل الزمني للتاريخ فإنني سأعتمده في الحديث عن تاريخ دعوة النبي - ﷺ - مع تغيير لألفاظه وبقاء لمفهومه ؛ لتتفق التعريفات مع موضوع هذه المادة . وعليه فستتناول هذه المراتب بالتفصيل .

المبحث الأول

أساس الدعوة النبوية.

لما كَمُلَ للنبي - ﷺ - أربعون سنة أشرق عليه نور النبوة ، وأكرمه الله تعالى بالرسالة ، وبعثه إلى خلقه ، واختصه بكرامته ، وجعله أمينه بينه وبين عباده ، ولا خلاف في أن مبعثه - ﷺ - كان يوم الإثنين ، واختلف في شهر المبعث ، فقيل : ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وقيل : بل في رمضان من تلك السنة وهي من سنتي ٦٠٩ - ٦١٠ م^(٤١) .

وأما بدء النبوة فقد كان في غار حراء كما يروي ذلك البخاري ومسلم في صحيحيهما إذ جاء جبريل - عليه السلام - إلى النبي - ﷺ - لأول مرة وفجأه وقال له : اقرأ ، قال في الحديث : «فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني^(٤٢)» ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني الثانية فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ حتى بلغ قوله ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قالت عائشة - رضي الله عنها - راوية الحديث : فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال : يا خديجة مالي ! وأخبرها الخبر ، وقال : قد خشيت على نفسي ، فقالت له : كلا والله لا يخزيك الله ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل^(٤٣) ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت بي خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل^(٤٤) وكان امرأ تنصّر في الجاهلية . . . فقالت : اسمع من ابن أخيك ، فقال : يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره ، فقال ورقة : هذا

الناموس^(٤٥) الذي أنزل على موسى ياليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك . قال : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ ثم لم يلبث ورقة أن توفي^(٤٦) .

وهذه المرتبة وهي أمر الرسول - ﷺ - بالقراءة والعلم عدها ابن القيم مرتبة الدعوة الأولى ؛ لأنها هي أساس الدعوة النبوية ، فالنبي - ﷺ - أمي لا يقرأ الكتب كما أجاب جبريل ثلاثاً : « ما أنا بقارئ » ولكن الله تعالى أقرأه باسمه فقال ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ أي : إنك لا تقرأه بحولك ولا بصفة نفسك ، فهو تعالى يعلمك كما خلقتك ، وكما نزع عنك علق الدم والآيتان المتقدمتان لمحمد - ﷺ - والآخرتان لأُمته وهما قوله تعالى : ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ لأنها كانت أمة أمية لا تكتب ، فصاروا أهل كتاب ، وأصحاب قلم ، فتعلموا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيهم تلقينا من جبريل نزله على قلبه بإذن الله ليكون من المرسلين^(٤٧) .

المبحث الثاني

انطلاق الدعوة النبوية

لقد بدأ انطلاق دعوة النبي - ﷺ - مع بدء هذه المرتبة وذلك بعد مبعثه بثلاث سنين إذ أمره الله تعالى بالإنذار بقوله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٤٨) فامثل أمرربه ، وحمل لواء الدعوة إلى الله تعالى ، وأخذ على عاتقه مسؤولية تبليغ الدعوة . ومن مقتضيات هذا الأمر أن تكون دعوته موجهة إلى من تربطه بهم صلات كزوجته وأولاده ومولاه وربيبه وكل من يطمئن إليه حتى إذا ما استجاب له هؤلاء ووجد قبولاً لدعوته بدأ بدعوة بقية

أقربائه وعشيرته^(٤٩) .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : ولما دعا إلى الله عز وجل استجاب له عباد الله ، فكان حائز قصب سبقهم صديق الأمة أبو بكر - رضي الله عنه - فأزره في دين الله ، ودعا معه إلى الله على بصيرة فاستجاب لأبي بكر عثمان ابن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهم أجمعين - وبادر إلى الاستجابة له ﷺ صديقة النساء خديجة بنت خويلد ، وقامت بأعباء الصديقية . وبادر إلى الإسلام علي بن أبي طالب وكان ابن ثمان سنين . وبادر زيد بن حارثة^(٥٠) حب رسول الله - ﷺ - وكان غلاماً لخديجة ، وقصته في اختيار رسول الله - ﷺ - على أبيه وعمه مشهورة ، وبعد أن استجاب له هؤلاء الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - جمع النبي - ﷺ - أهل بيته فاجتمع له ثلاثون ، فأكلوا وشربوا ، فقال لهم : من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي ؟

فقال رجل : يا رسول الله ، أنت كنت بحراً ، من يقوم بهذا ؟ فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي - رضي الله عنه - : أنا^(٥١) ، ثم قال : يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به ، إني قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة^(٥٢) .

وهكذا نرى أن هذه المرتبة هي التي بدأ فيها انطلاق دعوة النبي - ﷺ - مقدماً عشيرته كما أمره ربه تبارك وتعالى ، فقد جمع أهل بيته ودعاهم إلى طريق النجاة ومرغباً إياهم بأمر الدنيا والآخرة .

المبحث الثالث

إعلان الدعوة لقوم النبي - ﷺ - وموقفهم منها

وأما هذه المرتبة فمبتدؤها من نزول قول الله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٥٣) أي أظهر ما تؤمر به ، وبلغه علناً على رؤوس الأشهاد ، وادع إليه ، وفرق بين الحق والباطل بما أمرك الله بتبليغه^(٥٤) .

وعند نزول هذه الآية استجاب رسول الله ﷺ لأمر ربه ، وقام بالدعوة أمام قومه داعياً إلى التوحيد الخالص وهجر الأوثان .

ولما رأى المشركون من قومه الذين وجه إليهم الدعوة ، وطعن في آلهتهم لما رأوا إظهاره للدعوة ، وإعلانه بها دون خشية أو تردد شمروا له ولأصحابه عن ساعد العداوة ، فحمى الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب ؛ لأنه كان شريفاً في قومه مطاعاً في أهله ، وقريش لاتجاسر على مكاشفته بشيء من الأذى ، وأما أصحابه - رضي الله عنهم - فمن كانت له عشيرة تحميه امتنع بعشيرته ، وسائرهم تصدر للأذى والعذاب .

وبعد ما رأت قريش أن هذا التعذيب لأتباع الدعوة لا يقللهم بل يكثر عددهم ويزيدهم ثباتاً ، ورأت أن أثر هذه الدعوة ليس محصوراً كدعوة زيد ابن عمرو بن نفيل^(٥٥) أو دعوة قس بن ساعدة^(٥٦) أو دعوات غيرهما من الحنفيين ، لما رأت ذلك كله خطط زعمائها ودبروا لمحاربة هذه الدعوة المؤثرة فحاربوها بأساليب كثيرة ، نذكر منها على سبيل الاختصار ما يلي :

أولاً: العمل على تجريد هذه الدعوة من حماية أبي طالب ، ثم القضاء عليها في مهدا^(٥٧) .

ثانيًا: التهديد بمنازلة الرسول ﷺ وعمه أبي طالب، وذلك بعدما رفض أبو طالب التخلي عن ابن أخيه^(٥٨).

ثالثًا: الاتهامات الباطلة لصاحب الدعوة ﷺ لصد الناس عنها؛ لأن الطعن بالداعية طعن بالدعوة إذ اتهموه بالجنون، وبالسحر، وبالكذب والأساطير، وباختلاق القرآن الكريم^(٥٩).

رابعًا: السخرية والاستهزاء بالرسول ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - والتعالي عليهم^(٦٠).

خامسًا: الترغيب. ولتجربة هذا الأسلوب أرسلت قريش عتبة بن ربيعة الذي قال للرسول ﷺ: يا بن أخي! إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها: إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمرنا دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ. فلما فرغ تلا رسول الله ﷺ صدر سورة فصلت إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^{(٦١)(٦٢)}.

سادسًا: التهريب. ويتمثل ذلك في فعل أبي جهل إذ كان يأتي إلى الرجل إذا سمع أنه استجاب لهذه الدعوة وهو ذو شرف ومكانة فيقول له: تركت دين أبيك وجدك، وهما خير منك، لنسفهن حلمك، ولنضعن رأيك، ولنضعن شرفك. وإن كان تاجراً قال له: لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به^(٦٣).

المبحث الرابع

مخاطبة العرب قاطبة بالدعوة وقتال أعدائها.

في هذه المرتبة وهي دعوة العرب كلهم أخذ النبي ﷺ يوافي موسم الحج كل عام، يتبع الحجاج في منازلهم، وكذلك في مواسم الشعر في سوق عكاظ ومجنة وذو المجاز حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة. فإذا جاءهم عرض عليهم الدعوة وقال: «يا أيها الناس. قولوا: لا إله إلا الله تغلحوا»^{(٦٤)(٦٥)} وكان ذلك في السنوات القليلة بعد مبعثه - ﷺ - .

واستمر الرسول ﷺ في عرض دعوته، ولم يجد استجابة لها إلا ما كان من أهل المدينة، وذلك في السنة الحادية عشرة للمبعث إذ التقى بنفر من الخزرج عند العقبة فجلسوا معه، ودعاهم إلى الإسلام بعد أن تلا عليهم القرآن الكريم. فلما سمعوا دعوته قالوا لبعضهم: تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه، فأجابوا دعوته ثم انصرفوا وواعدوه المقابلة في الموسم المقبل. وبعد وصولهم إلى المدينة أخبروا أهلها بما حدث واجتهدوا بدعوة قومهم إلى الإسلام فاستجابوا حتى فشا فيهم^(٦٦).

بيعة العقبة الأولى في السنة الثانية عشرة للمبعث

بعد أن أثمرت دعوة أولئك نفر الذين التقوا برسول الله ﷺ وأسلم أناس من أهل المدينة بفضل الله تعالى ثم بفضل اجتهد هؤلاء، بعد ذلك جاء موسم الحج من العام الثاني عشر للمبعث، فأقبل اثنا عشر رجلاً من مسلمي المدينة، ووصلوا إلى مكة، والتقوا برسول الله ﷺ عند العقبة، فلما بينوا للرسول ﷺ إسلامهم أخذ منهم البيعة كما يروي البخاري، إذ قال لهم رسول الله ﷺ: «تعالوا، بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا

تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه . فبايعوه على ذلك^(٦٧).

فلما أرادوا الانصراف إلى المدينة بعث معهم النبي ﷺ مصعب بن عمير^(٦٨) ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، فيكون أول داعية يبعث من قبل رسول الله ﷺ إلى جهة معينة - وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - وبعد وصوله إلى المدينة اجتهد بالدعوة فصار لدعوته أثر عظيم، وأسلم خلق كثير^(٦٩).

بيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة للمبعث

وبعد أن استجاب لدعوة مصعب من استجاب من أهل المدينة، وجاء موسم الحج من العام الثالث عشر للمبعث، خرج إلى مكة جمع كبير من المستجيبين لدعوة الإسلام، وكان زعيمهم البراء بن معرور^(٧٠) [ت: قبل الهجرة بشهر] رضي الله عنه وهم يتساءلون: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف؟ وكيف يكون لنا مناصرة الدعوة في مكة المكرمة؟ وبعد وصولهم إلى مكة اجتمعوا مع رسول الله ﷺ فتلا عليهم القرآن الكريم ثم قالوا له: يا رسول الله . خذ لنفسك ولربك ما أحببت، فطلب منهم البيعة فقالوا: علام نبإيك؟ قال: على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة^(٧١) فبايعوه على ذلك .

وهكذا تمت البيعة المباركة التي كانت الأساس لهجرة النبي ﷺ إلى المدينة، إذ بعدها صار الإسلام في المدينة معززاً حتى قامت له دولة، وهي الدولة الإسلامية الأولى التي انطلقت منها الدعوة حتى شملت أرجاء المعمورة.

وبعد ذلك استعدت المدينة لاستقبال الدعوة وحمايتها، واستقبال الرسول ﷺ ليستقر في المدينة، ويأمن فيها، وينشر دعوته دون أن يعارض. انتقال الدعوة إلى المدينة (ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة للمبعث):

بعد هذه البيعة المباركة أذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، فبادر المسلمون إلى ذلك أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً، ولم يبق بمكة من أهل الدعوة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي - رضي الله عنهما - اللذين أقاما استجابة لأمر الرسول ﷺ لهما بالإقامة. كما لم يبق إلا من احتبسه أعداء الدعوة عن الهجرة.

وأما موقف أعداء الدعوة من هذا التغير في حال الدعوة وانتصارها ووجود العز والمنعة لها ولأتباعها، فإنهم خافوا أن يتبع رسول الله ﷺ أصحابه إلى المدينة، فاجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في كيفية القضاء على هذه الدعوة وإخماد نورها. وبعد ذلك توصلوا إلى رأي خبيث أشار به أبو جهل وباركه إبليس اللعين وهو قتل رسول الله ﷺ الذي هو مصدر قوة هذه الدعوة، وعند ذلك أخبره الله تعالى بعزمهم، وأمره ألا ينাম في مضجعه، وأمره بالهجرة^(٧٢)، فأتى رسول الله ﷺ أبا بكر - رضي الله عنه - فأخبره بأمر الله تعالى له بالخروج^(٧٣) فتجهزا وخرجا إلى غار ثور، ومكثا فيه عدة أيام^(٧٤) ثم واصلا مسيرتهما حتى وصلا إلى المدينة، ففرح أتباع الدعوة

بمجيئ إمامهم رسول الله ﷺ^(٧٥) وأخذ كل يدعو للإقامة عنده إلا أنه أقام عند أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -^(٧٦) وعند ذلك شرع مباشرة ببناء المسجد^(٧٧)، وأخى بين المهاجرين والأنصار^(٧٨)، ووادع اليهود الذين في المدينة، وكتب بينه وبينهم صحيفة في ذلك^(٧٩) وبادر خبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام^(٨٠) لدعوة الإسلام فأسلم.

ولما استقر الرسول ﷺ بالمدينة، وصار للدعوة مجتمع كامل، وكيان بارز وأصبح هذا المجتمع متماسكاً متآلفاً، شمر العرب واليهود جميعاً عن ساعد العداوة والمحاربة^(٨١) لهذه الدعوة، والله تعالى يأمر نبيه والمؤمنين بالصبر والصفح.

كما في قوله تعالى: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسْبًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾^(٨٢).

وعندما قويت الدعوة أذن الله تعالى للمؤمنين بالقتال بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٨٣). ثم بعد ذلك بزمان وعند اشتداد قوة الدعوة فرض الله عليهم القتال لمن قاتلهم فقط فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم﴾^(٨٤) وبعد كمال قوتها فرض الله تعالى قتال المشركين كافة فقال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨٥) وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾^(٨٦).

نشر الدعوة بالجهاد :

الهدف الدعوي للجهاد :

امتثل رسول الله ﷺ وصحبه الكرام لأمر الله تعالى بقتال المشركين كافة؛ لإيصال الدعوة إلى الناس، وإزالة العقبات التي تعترض مسيرها. وقد وضعوا نصب أعينهم الهدف الأساس لهذا القتال، وهو إنقاذ الناس من الضلالة ودلائهم إلى طريق الهداية، فليس الهدف إذن قتل الأنفس، وسلب الأموال، وهتك الأعراض، والتسلط على الخلق، كما كان يفعل العرب سابقاً، وكما هي حال الحروب التي لا تحمل روح الدعوة.

لقد وضع الرسول - ﷺ - للناس الهدف من القتال وصرح به في قوله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»^(٨٧) فالهدف هنا واضح للجميع يعرفه أمراء السرايا، كما يعرفه المشاركون في القتال، يؤيد هذا ما ذكره الإمام مسلم^(٨٨) [ت: ٢٦١هـ] أن النبي - ﷺ - كان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله تعالى، ويقول لهم : «سيروا باسم الله وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً»^(٨٩) فهو قتال طاهر من الغدر والخيانة والتعذيب وقتل الأولاد والنساء .

ولا تقتصر معرفة هذا الهدف على المقاتلين فحسب بل تتعداهم معرفته إلى المراد قتالهم؛ لأن النبي - ﷺ - كان يأمر أمير سرية أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة، وإما إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين ليس لهم في الفئ نصيب، وإما إلى بذل الجزية . فإن أجابوا قبل منهم وإلا استعان بالله وقاتلهم^(٩٠) فالقتال إذن خيار أخير للدعوة، وليس هو الهدف الأساس لخروج جيش الدعوة، ويكفي أن نذكر

دليلاً واحداً على هدف الدعوة من القتال وهو فعل جيش الدعوة مع الأسرى ومنهم ثمامة بن أثال^(٩١) الذي قال الرسول - ﷺ - لأصحابه لما كان ثمامة أسيراً : أجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إلى ثمامة بن أثال ، وأمر - ﷺ - بلقحته أن يُغذى بها ويراح على ثمامة فيشرب منها اللبن^(٩٢) . والأمثلة على هذا كثيرة في تاريخ الجهاد .

وبهذا الأسلوب الدعوي - في الجهاد - بدأ الرسول - ﷺ - ينشر الدعوة بين العرب فإن أجابوا صاروا إخواناً لجند الدعوة وأفراداً في مجتمعها ، وإن أبوا بذلوا الجزية ، وإن تكبروا على الدعوة وجندها استعان الجيش بالله وقتلهم .

ومن هنا بدأ الرسول - ﷺ - يبعث سرايا الدعوة ، وقاد غزواتها في سبيل الله تعالى .

السرايا والغزوات^(٩٣) لنشر الدعوة :

بدأ الجهاد في سبيل الدعوة بالسرايا ، إذ عقد رسول الله - ﷺ - الألوية للقتال ، فكان أول لواء عقده هو لواء حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - في شهر رمضان بعد ستة أشهر من الهجرة ؛ ليعترض عيراً لقريش مقبلة من الشام^(٩٤) ثم تتابعت السرايا بعد ذلك والغزوات الصغيرة التي خرج فيها رسول الله - ﷺ - بنفسه كغزوة الأبواء وغزوة^(٩٥) بدر الأولى (الصغرى)^(٩٦) .

وقد بلغ عدد السرايا في عهد النبي - ﷺ - أربعاً وعشرين سرية ، وأما الغزوات فقد بلغت ثمان عشرة غزوة^(٩٧) .

وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة بدأت الأحداث العظام في تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ ندب رسول الله - ﷺ - الناس لملاقاة عير قريش المقبلة من الشام مع أبي سفيان (ت: ٢٠) ^(٩٨) إلا أن أبا سفيان علم بخروج رسول الله - ﷺ - فسلك طريق الساحل، وأرسل إلى قريش يطلب الحماية فتجهزوا وخرجوا . فلما علم رسول الله - ﷺ - بخروجهم استشار أصحابه فأشاروا عليه بالخروج، والتقى الجمعان عند بدر، وبدأ القتال، وأيد الله جند الدعوة بالملائكة، وانتهى القتال بنصر كبير للدعوة وجندها، وقتل سبعون من صناديد قريش، وأسر سبعون آخرون، وألقيت جثث المشركين في قليب بدر ^(٩٩) .

وقد كان من ثمرة هذه الغزوة ازدياد قناعة العرب بهذه الدعوة، ومعرفة قوتها، إذ أصبحوا يترددون مراراً قبل أن يجرؤ أحد منهم على اعتراض سبيلها، فقد عرفوا أن جند هذه الدعوة على استعداد لأن يضحوا بكل شيء في سبيلها وأنها تذوب أصرة العروبة والقرابة عندهم إذا تعارضت مع مصلحة الدعوة، ولا أدل على ذلك من قصة أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - الذي قتل والده المشرك حينما تصدى له كثيراً ليمنعه من الاستمرار في مناصرة الدعوة ^(١٠٠) .

وأما قريش فقد أكلها الهم والحزن إلا أنها لم تظهر ذلك؛ لثلاث تشمت بها العرب، وعملت جاهدة للانتقام ولاستعادة مكانتها التي سلبتها منها هذه الدعوة الفتية . فجمعت الأموال واستنفرت القبائل، وتمكنت من إعداد جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وكتبوا اليهود والمنافقين في المدينة ^(١٠١) .

وخرج الجيش يقوده أبو سفيان في السنة الثالثة للهجرة . وخرج الرسول - ﷺ - بعد ما علم بمسير أهل مكة إلى أحد ^(١٠٢) . وفي الطريق إلى

أحد ظهر عدو للدعوة من بين صفوفها، يعمل على هدمها أو على الأقل تخذيلها، إذ أخرج المنافقون رؤوسهم، وخالفوا أمر رسول الله - ﷺ - وانخذلوا عن جيش الدعوة بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول، وقد بلغ عددهم ثلاثمائة أي: ثلث الجيش، فارتبكت الصفوف إلا أن رسول الله - ﷺ - واصل مسيره حتى بلغ أحداً، فجعل خمسين رامياً فوق الجبل، وأمرهم ألا يبرحوا أماكنهم، وبدأ القتال، وانهزم المشركون، وعندها ترك الرماة أماكنهم مخالفين أمر الرسول - ﷺ - إلا نفر قليل منهم، التف جيش المشركين إلى الجبل وقتلوا من المسلمين سبعين، وخلصوا إلى رسول الله - ﷺ - فجرحوا وجهه وكسروا ربايعيته، وصرخ الشيطان إن محمداً قد قتل، ففر كثير من المسلمين فعمل أنس بن النضر^(١٠٣) - رضي الله عنه - على ترتيب الصفوف من جديد، وثبت هو وجماعة من أصحابه - رضي الله عنهم - وقاتلوا عن رسول الله - ﷺ -^(١٠٤) .

وبعد هذه الغزوة واعد المشركون رسول الله - ﷺ - في العام المقبل وهو سنة أربع إلا أنهم أخلفوه بسبب الجذب، فلما كانت السنة الخامسة جاؤوا لحربه، وقد أرادوا في هذه المرة القضاء التام على الدعوة إذ حشدوا أكبر قوة ممكنة لهم، فتحالفوا مع كل من له مصلحة في القضاء عليها من العرب وكذلك من اليهود فاجتمع عشرة آلاف مقاتل .

فلما سمع الرسول - ﷺ - بخروجهم حفر خندقاً حول المدينة، وأخذ يستعد للقتال، وفي هذه الأثناء جاء الخبر بنقض بني قريظة للعهد فعظم ذلك على المسلمين، وبعد وصول المشركين حاصروا المدينة شهراً إذ لم يستطيعوا عبور الخندق، وأصبح المسلمون في عسر من أمرهم وهنا جاء الفرج من الله تعالى بإسلام نعيم بن مسعود^(١٠٥) فبذر الشك بين

أحزاب المشركين واليهود^(١٠٦) . وفي الوقت نفسه أرسل الله تعالى عليهم الريح القاسية التي أجبرتهم على الرحيل فعادوا خاسرين^(١٠٧) وعاد النبي - ﷺ - إلى بني قريظة وحاصرهم فاستسلموا فحكم عليهم سعد بن معاذ بأن يَقْتُلَ النبي - ﷺ - مقاتلتهم، ويسبي ذريتهم، ويقسم أموالهم، فنفذ فيهم رسول الله - ﷺ - هذا الحكم^(١٠٨) .

وفي السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله - ﷺ - لأداء العمرة فصدمته قريش عن الحرم فأبلغهم أنه لا يريد قتالاً، وإنما يريد زيارة البيت العتيق وبدأت بينهم المفاوضات في مكان يسمى الحديبية انتهت إلى الهدنة بينهما على شروط غضب منها بعض الصحابة المتحمسين لنصرة الدعوة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأنهم رأوا فيها ذلة للمؤمنين . إلا أن الله تعالى أرسل إليهم البشارة بقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾^(١٠٩) فقال عمر : أوفتح هو ؟ فقال الرسول - ﷺ - نعم . فطابت نفوس المؤمنين، وأدركوا أن الخير في التسليم لأمر الله تعالى وأمر رسوله - ﷺ - .^(١١٠)

المبحث الخامس

عالمية الدعوة النبوية

لم تكن دعوة النبي - ﷺ - دعوة محصورة الزمان والمكان ، بل هي دعوة عالمية إلى آخر الدهر . وقد جاءت الأدلة على ذلك . ومن هذه الأدلة ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾^(١١١) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَّبِعْهُا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(١١٢) ، وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾^(١١٣) . وأما الأدلة من السنة فقد

ثبت في صحيح مسلم أن النبي - ﷺ - قال : «فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون»^(١١٤) إلى غير ذلك من الأدلة .

وأما دعوة الجن فقد جاءت صريحة في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۖ﴾^(١١٥) قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٦﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دُعَاءِ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْعَلَنَّ لَكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١٧﴾ .

من هذا المنطلق ومن هذا المفهوم العالمي للدعوة بدأ الرسول - ﷺ - دعوته خارج قومه بل خارج العرب كلهم ، وذلك بعد الهدنة التي ضربت مع قريش في صلح الحديبية ، فقد أرسل الرسل ، وكتب الكتب إلى ملوك الأرض في عصره ، وكان أول أولئك الرسل - كما يقول ابن القيم - عمرو بن أمية الضمري^(١١٦) الذي أرسله إلى النجاشي^(١١٧) بكتاب جاء فيه : «تعال إلى كلمة سواء بيننا وبينك أن لا نعبد إلا الله ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» فآمن ومن كان عنده^(١١٨) .

كما أرسل - ﷺ - إلى كسرى عبد الله بن حذافة^(١١٩) بكتاب جاء فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك»^(١٢٠) فلما قرأه مزقه ، فدعا عليهم رسول

الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق^(١٢١) .

وكتب إلى قيصر - أيضاً - كتاباً جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين . ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَوُ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾^(١٢٢) (١٢٣) كما أرسل رسلاً عدة إلى بقية الملوك^(١٢٤) . وكل كتبه كانت تحمل المعنى نفسه الوارد في الرسائل المتقدمة وهو الدعوة إلى الإسلام .

وهذه الرسائل - كما نرى - تؤكد على حقيقة معلومة وهي أن الإسلام دين عالمي ؛ لذا كان واجب الرسول ﷺ إبلاغ الدعوة إلى كل من يعرف بكل الوسائل المتاحة في ذلك الزمان^(١٢٥) .

وبعد أن انتشرت دعوة الرسول ﷺ إلى هذه الدرجة ، وبلغت هذه المرتبة التي جعلها ابن القيم - رحمه الله - غاية المراتب وآخرها إذ شملت كل من في عصره من الإنس والجن كما ثبت في الأدلة السابقة . بعد ذلك عادت حركة الجهاد بقوة لم يعرف المعاصرون للدعوة النبوية مثيلاً لها من قبل في الدعوات الإصلاحية ، إذ خرج رسول الله ﷺ (في رمضان سنة ثمان من الهجرة)^(١٢٦) إلى مكة لفتحها بعد أن نقضت قريش الهدنة ، واستنفر معه القبائل التي حول المدينة فأجابوه حتى بلغ جيش الدعوة عشرة آلاف مجاهد . وسار الجيش حتى إذا ما شارف على مكة جاء بعض زعماء قريش معلنين قناعتهم بهذه الدعوة فأسلموا - منهم أبو سفيان^(١٢٧) - رضي الله عنه -

وتابع الجيش مسيره حتى دخل مكة ، ووصل الصفا وما يعرض له أحد يمنعه إلا قتله والرسول ﷺ خاشع شاكر لربه يقرأ سورة الفتح ^(١٢٨) والتحم الجيشان عند الخندمة إلا أن ذلك لم يطل إذ نكس المشركون وانهزموا .

وبعد انتهاء الغزوة ظهر جلياً للمشركين أن محمداً ﷺ إنما جاء رحمة للعالمين وداعياً إلى الصراط المستقيم ، وذلك لما أعلن العفو عنهم حينما اجتمعوا لينظروا حكمه فيهم إذ سألهم : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ فقالوا : خيراً : أخ كريم وابن أخ كريم فقال : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ^(١٢٩) .

لقد عفا عنهم بل وبشرهم بالمغفرة من الله تعالى بعدما فعلوا كل ما فعلوا من صد للدعوة خلال سنوات عديدة . ومحاربة لها بشتى الوسائل والأساليب ، ولكن المجال كما ظهر مجال دعوة وليس مجال انتصار للنفس أو وصول لملك مكة .

وأمر رسول الله ﷺ بتطهير البيت العتيق من الأصنام . وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل ﷺ يزيل الأصنام وهو يقرأ : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوفاً ﴾ ^(١٣٠) ، وبعد إزالة الأصنام اعتلى بلال ظهر الكعبة ونادى بدعوة الحق مؤذناً للصلاة . وبعدها أرسل رسول الله ﷺ بعوثاً إلى مناطق مختلفة لإزالة الأصنام التي فيها كديار ثقيف ومضر وكنانة ^(١٣١) .

ثم بعد ذلك اجتمع الناس لمبايعة رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، وعندها تم الفتح الأعظم الذي أعز الله به هذه الدعوة ونصر جندها ودخل الناس أنصاراً لهذه الدعوة مقتنعين بها ^(١٣٢) .

وهنا تحقق موعود الله في الأرض إذ سقطت الأصنام ، وأخرجت

الأزلام وكسر هبل ، وارتفعت راية الدعوة، وتمكن التوحيد، وقضي على أعداء كثيرين للدعوة، ولله المنة والفضل .

وبقدر ما يفرح المؤمن بهذا النصر إلا أنه يحزن عندما يعلم نزول نعي النبي الله لرسوله ﷺ في قوله : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (١٣٣) إذ يقول ابن عباس (١٣٤) [ت : ٦٧هـ] - رضي الله عنه - : قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له ، إذا جاء نصر الله والفتح ، أي : فتح مكة ، فذلك علامة أجل النبي - ﷺ - وعندها سبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً (١٣٥) .

وبعد هذا الفتح الأعظم تتابعت الغزوات ، فكانت غزوة حنين والطائف وتبوك إلى أن جاءت حجة الوداع . ففي السنة العاشرة للهجرة توجه الرسول ﷺ في جمع كبير من المسلمين بلغ عددهم قرابة مائة ألف ليس بينهم مشرك ، بل كلهم أتباع الدعوة ومناصروها ، فأحرم من ذي الحليفة وواصل مسيره حتى وصل مكة فدخل المسجد الحرام ، وطاف سبع مرات ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم ، ثم سعى بين الصفا والمروة سبعاً ، ثم خرج فتزل الأبطح شرقي مكة (١٣٦) وفي اليوم الثامن خرج إلى منى فأقام بها ليلة ، وفي صبيحة اليوم التاسع خرج إلى عرفات والمسلمون معه وهناك ألقى خطبته في حجة الوداع (١٣٧) ، وقد كانت خطبة عظيمة تضمنت أموراً مهمة منها :

أولاً: نعي الرسول الكريم ﷺ نفسه للمسلمين وذلك في قوله : «أيها الناس ! اسمعوا مني أدين لكم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقعي هذا .

ثانياً: تحذير المسلمين من الشيطان وفتنه وأساليبه وذلك في قوله : إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكن قد رضي أن يطاع فيما سوى

ذلك بما تحقرون من أعمالكم .

ثالثاً: تأكيداً على أهمية قوة المسلمين وأخوتهم وذلك في قوله : إنما المؤمنون إخوة .

رابعاً: بيانه أن العزة والسلامة للمسلمين في تمسكهم بالكتاب والسنة وذلك في قوله : فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : كتاب الله وسنتي^(١٣٨) .

وفي هذا الموقف والمؤمنون بعرفة تمت رسالة الإسلام إذ نزل قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١٣٩) .

وبعد عودته ﷺ من حجة الوداع في صفر من العام الحادي عشر للهجرة ندب الناس لغزو الروم ، وأمر عليهم أسامة بن زيد ، وهنا بدأ مرض النبي ﷺ الذي انتهى بوفاته عليه الصلاة والسلام^(١٤٠) .

مرض النبي ﷺ ووفاته وأثر ذلك على الصحابة .

ابتداء مرض النبي ﷺ يوم الإثنين ، وقيل غير ذلك ، واستمر بضعة عشر يوماً^(١٤١) وقد كان أول ما شكى منه ﷺ الصداع^(١٤٢) فكان يقول : (وارأساه)^(١٤٣) ثم بعد ذلك اشتد وجعه ﷺ واستأذن أزواجه في أن يمرض في بيت عائشة - رضي الله عنها - ، فأذن له ، فخرج من دار ميمونة - رضي الله عنها - إلى دار عائشة وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض ، فلما دخل البيت اشتد وجعه وقال : أهريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن ، لعلي أعهد إلى الناس ، فأجلسوه في مخضب ثم صبوا عليه الماء ثم خرج إلى الناس وخطبهم^(١٤٤) قائلاً : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١٤٥) ثم قال : «من كنت جلدت له ظهرًا فهذا

ظهري فليستقد منه^(١٤٦) ثم قال : «إن عبداً خيّر الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله» فبكى أبو بكر - رضي الله عنه - فقال النبي ﷺ : «لا تبك يا أبا بكر . إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته . لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ ، إلا باب أبي بكر^(١٤٧) .

وبعد نزوله ورجوعه إلى حجرة عائشة - رضي الله عنها - وقبل وفاته . بثلاث قال : «أحسنوا الظن بالله عز وجل^(١٤٨) ولما حضرته الوفاة قال : «الصلاة وما ملكت أيمانكم» وأخذ يكررها حتى جعل يغرغر بها في صدره وهو يغمى عليه^(١٤٩) .

ولما ثقل رسول الله ﷺ جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة : واكرب أباه . فقال لها : ليس على أهلك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت : يا أبتاه . . أجاب رباً دعاه . يا أبتاه . . جنة الفردس مأواه . يا أبتاه . . إلى جبريل نعاه ، فلما دفن قالت لأنس : كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله - ﷺ - التراب!!^(١٥٠) .

وأما زمن الوفاة فيقول ابن حجر : كانت وفاته - ﷺ - يوم الإثنين بلا خلاف من ربيع الأول وكاد يكون إجماعاً^(١٥١) سنة إحدى عشرة للهجرة^(١٥٢) .

أثر وفاة النبي - ﷺ - على صحابته - رضي الله عنهم - :

لقد نقل الله تعالى نبیه - ﷺ - من هذه الدار الفانية إلى النعيم المقيم الأبدي ، في محلة عالية رفيعة ودرجة في الجنة لا أعلى منها ولا أسنى كما قال تعالى : ﴿وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۖ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۗ﴾^(١٥٣) .

وذلك بعدما أكمل أداء الرسالة التي أمره الله بإبلاغها ، ونصح أمته ،
ودلهم على خير ما يعلمه لهم ، وحذرهم ونهاهم مما فيه مضرة لهم في
دنياههم وأخرَاهم ^(١٥٤) .

وأما وقع هذه المصيبة على الصحابة - رضي الله عنهم - فكما يقول ابن
رجب (ت : ٧٩٥) ^(١٥٥) : اضطرب الناس ، فمنهم من دهش فخلوط ،
ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ،
ومنهم من أنكر موته بالكلية ^(١٥٦) كعمر - رضي الله عنه - الذي لم يصدق
بموته ، وخرج إلى المسجد فخطب ، وقال : إن المنافقين يقولون : إن
رسول الله - ﷺ - توفي ، والله ما مات رسول الله - ﷺ - ولكنه ذهب إلى
ربه كما ذهب موسى ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم ، والله
ليرجع رسول الله - ﷺ - كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم
زعموا أن رسول الله - ﷺ - مات ^(١٥٧) .

ويبين عثمان - رضي الله عنه - عظم المصيبة على صحابة رسول الله -
ﷺ - فيقول : توفي رسول الله - ﷺ - فحزن عليه رجال من أصحابه حتى
كاد بعضهم يوسوس ، فكنت ممن حزن عليه ، فبينما أنا جالس في أطم من
أطام المدينة إذ مرّ بي عمر فسلم عليّ فلم أشعر به لما بي من الحزن ^(١٥٨) .

وقد ذكر ابن رجب أن بلالاً - رضي الله عنه - كان يؤذّن بعد وفاة النبي -
ﷺ - قبل دفنه فإذا قال : أشهد أن محمداً رسول الله ارتج المسجد بالبكاء
والنحيب فلما دفن ترك بلال الأذان ^(١٥٩) .

موقف أبي بكر - رضي الله عنه - :

بعد أن اشتد الحزن بالصحابة الكرام - رضي الله عنهم - وعظمت
المصيبة وماج الناس بين مصدّق ومكذّب جاء الصديق المؤيد المنصور -

رضي الله عنه - أولاً وآخرأ وأقام الأود وصدع بالحق^(١٦١) فأقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح^(١٦١) حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ورسول الله - ﷺ - مسجى في ناحية البيت فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها^(١٦٢) .

ثم خرج إلى الناس وعمر - يكلمهم فقال : اجلس يا عمر ، فأبى عمر ، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد : من كان منكم يعبد محمداً - ﷺ - فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾^(١٦٣) .

يقول عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت - أي دهشت - حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي - ﷺ - قد مات^(١٦٤) .

قال القرطبي [ت : ٦٧١ هـ]^(١٦٥) - رحمه الله - هذا الموقف أدل دليل على شجاعة الصديق وجراءته ، فإن الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب ، ولا مصيبة أعظم من موت النبي - ﷺ - فظهرت شجاعته وعلمه لأن الناس قالوا : لم يموت رسول الله - ﷺ - وخرس بعضهم ، واستخفى البعض الآخر ، واضطرب الأمر ، فكشفه الصديق بهذه الآية^(١٦٦) .

وبعد هذه الخطبة استبشر المسلمون ، وأخذت المنافقين الكآبة ، يقول

عمر : وكان على وجوهنا أغطية فكشفت^(١٦٧) .

وهكذا اجتمعت الكلمة ، واستقام الأمر بعد موقف الصديق هذا رضي الله عنه وأرضاه .

الفصل الثاني

فقه الدعوة المستنبط من تاريخ دعوة النبي ﷺ —

تمهيد :

إن السنوات المباركة التي عاشها رسول الله ﷺ يدعو فيها إلى ربه ويبلغ رسالته للناس فهي أعظم السنوات في تاريخ العالم ، وأكثرها نفعاً وأعمها بركة ؛ لأن فيها تغيرت حال البشرية ، وفيها ختمت وأكملت الرسالات السابقة وقد عاش في هذه السنوات أهل خير القرون كما شهد لهم رسول الله ﷺ بقوله : « خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم^(١٦٨) » ولا عجب أن ينالوا هذه الخيرية ؛ لأنهم أقرب الناس من رسول الله ﷺ خاتم المرسلين ، وألصقهم به ، لتمسكهم بشريعته واقتدائهم بأخلاقه ، وتجنبهم النقائص والدنایا ، فصفتهم شريفة ، وسجاياهم كريمة ، إذا علموا فهم السفارة الكرام البررة ، وإذا حكموا فهم الولاة والقضاة الخيرة ، يجودون لله بالنفس والنفيس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر غير هيابين ولا وجلين ، كيف لا وقد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه الكريم ، وتحمل شرائعه ، ونشر دعوته بين الناس^(١٦٩) أجمعين .

فهذه السنوات إذن تحمل أقوم تاريخ للدعوة الإسلامية وأعظمه ؛ لأن الدعوة فيه كانت على أكمل الوجوه وأفضل المناهج ، بلغها للناس الناصح

لهم ، الأمين عليها ، عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم .

فما دام هذا الفضل كله لهذه المدة من التاريخ فمن غير التوفيق للدعاة أن يغفلوها ، ويبحثوا في غيرها عن فقه لدعوتهم ومنهج لها . وإن التوفيق التام للدعاة أن تكون هذه المدة نبزاً لدعوتهم ، وسراجاً منيراً لها تستضيء بنوره وتستفيد منه .

ومن هذا المنطلق فإننا سنستنبط فقه الدعوة من هذا التاريخ المشرق مستعينين بالله تعالى .

المبحث الأول

فقه الدعوة المتعلق بموضوع الدعوة

تقدم في المرتبة الأولى من مراتب دعوة النبي ﷺ - أن ابن القيم - رحمه الله - قد جعل الوحي أساس الدعوة الأول ومرتبها الأولى . ولا شك أن هذا الحكم صحيح لا مرأى فيه ؛ لأن الوحي هو الأساس الذي تترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته . وإن فهمه واليقين به هما المدخل إلى التصديق واليقين بسائر ما جاء به النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى من إخبارات غيبية وأوامر تشريعية .

إن هذه الأهمية هي التي جعلت المشككين بالدعوة قديماً وحديثاً يهتمون بتفسير قضية الوحي تفسيرات عديدة جاؤوا بها من عند أنفسهم للتشكيك بحقيقته إذ قالوا : إن الوحي نوع من الصرع والجنون أو الأحلام التي يراها في المنام أو هو من حديث النفس والأوهام ، وهم يعلمون أنه متى ما أتيحت لهم الفرصة للتشكيك بحقيقة الوحي فإن التشكيك بكل ما يتفرع عنه سهل

وميسور وبالتالي يستطيعون هدم الدعوة من قاعدتها الأساسية^(١٧٠).

إن مقصود الدعوة وموضوعها هو إيمان الناس بالله تعالى ، وبما جاءت به رسله - عليهم الصلاة والسلام - أو هو الإسلام الذي هو دين الحق المنزل بالوحي إلى محمد ﷺ^(١٧١) وقد بين النبي ﷺ أن هذا الوحي هو سبب الإيمان وكثرة التابعين لهذه الدعوة فقال ﷺ : « ما من نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة^(١٧٢) » .

لقد نزل الوحي بموضوع الدعوة ، وأساسها ، وليس هناك موضوع للدعوة بغير الوحي ، فهو المصدر المعصوم ، وقد اشتمل على جميع احتياجات البشرية وفق فطرتها ، فيجب اعتكاف المهتمين بالدعوة على هذا الأساس ليأخذوا دعوتهم منه ، فإن استشكل عليهم الفهم فليعودوا إلى فهم السلف الصالح لنصوص الوحي - الكتاب والسنة - لأنهم خير من فهم مراد الشارع من تلك النصوص .

المبحث الثاني

فقه الدعوة المتعلق بمنهج الدعوة

لقد انطلقت دعوة النبي ﷺ في مجتمع يعجّ بالفوضى الدينية والسياسية و الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، واستطاعت هذه الدعوة المباركة في سنوات قليلة تنظيم هذا المجتمع وهدايته - بفضل الله تعالى - إلى الصراط المستقيم ، إذ صُححت المعتقدات ، وطُهر ذلك المجتمع من الأصنام ، وقامت دولة التوحيد ، واستقامت سائر شؤون الحياة ، وما ذاك إلا بفضل الله تعالى أولاً ثم التزام هذه الدعوة النبوية بمنهج قويم .

إن العمل الدعوي لا يؤتي ثماره المرجوة إلا بالانضباط التام بالمنهج الصحيح . أما الارتجال الذي يتجاهل المنهج ويقصيه فإنه يؤخر الدعوة أو يجعلها ضعيفة لا تلبى حاجات المدعويين بل قد يقضي على الدعوة ، ويحطم جهود الآخرين ؛ لأن الارتجال وعدم السير على منهج قويم مظنة الخطأ والزلل .

ومن هنا تظهر أهمية المنهج للدعوة وأهمية لزومه والسير وفقه حتى يصل الداعي إلى النتيجة التي يسعى إليها أو يسلم من تبعه الخطأ ؛ لأنه سار وفق منهج مستقيم ، أما النتائج فهي بيد الله تعالى وحده .

ولابد أن يكون المنهج الذي يختاره الدعاة لدعوتهم منبثقاً من وحي الله تعالى - الكتاب والسنة - وفهم السلف الصالح لهذا الوحي إذ ليس في الدنيا منهاج أعظم ولا أقوى ولا أشمل ولا أشد تأثيراً من هذا المنهاج .

وقد رأينا في تاريخ دعوة النبي ﷺ أنه إذا أراد دعوة قوم تلا عليهم القرآن وحدثهم بحديثه ودعوته ؛ لأن القرآن الكريم يلمس الوجدان ، ويحرك المشاعر ويرقق القلب ، فتهدأ النفس وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى نَقَّصِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (١٧٣) .

ويقول تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٧٤) ، ويقول عز وجل : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٧٥) .

فالقرآن بالنسبة لهذه الدعوة بمكانة الروح للجسد ، فكما أن الروح تمد الجسد بالحركة والحياة فكذلك القرآن يعطي الدعوة الحياة والنجاح ؛ لأنه

معجز في لفظه وأسلوبه ، ومعجز في نظمه وبيانه ، ومعجز في علومه ومعارفه ، ومعجز في تشريعاته الباهرة ، ومعجز باتفاق تلك التشريعات والأنظمة مع فطرة الإنسان ، ويكفيه إعجازاً أنه كلام الله تعالى المحكم الذي يحمل أنواراً ساطعة ، وأدلة ثابتة قاطعة ، كلها تثبت أنه كلام الله المعجز بحيث لا تجد فيه نكتة من كذب ، ولا وصمة من زور ، ولا لظمة من جهل . ولجميع هذه المعاني المتقدمة جاء القرآن الكريم مستوفياً لجميع حاجات البشرية ، فصنع فيهم التحوّل العجيب ؛ لأنه كتاب هداية وإرشاد وتبليغ^(١٧٦) .

وأما السنة النبوية فإن الله تعالى قد عصم صاحبها من الشرك والضلالة ، وبرآه من الزيف ، والأهواء ، وطهره من الفسوق والعصيان ، واختاره من أشرف الناس نسباً وهو أكثر أولئك حلماً وحكمة ، وأعظمهم أمانة ؛ وأقواهم حجة ، وأوفرهم ذكاء قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ ﴾^(١٧٧) .

إن في التمسك بالكتاب والسنة العصمة من الضلال ؛ لأن كتاب الله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ ﴾^(١٧٨) ، فخير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي رسول الله ، من اعتصم بهما هُدي ، ومن تركهما ضل ، روي عن مالك أنه بلغه أن النبي ﷺ قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه »^(١٧٩) .

ولما خطب النبي ﷺ الناس في حجة الوداع وفي آخر تاريخ دعوته قال : « ينس الشيطان بأن يعبد بأرضكم ، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا ، يا أيها الناس ، إنما قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه ﷺ »^(١٨٠) .

وإن منهج الدعوة من جملة ما ورد في الكتاب والسنة ، فمن اتبعهما في ذلك كان مهتدياً في طريقه ، ناجحاً في دعوته ، ومن أعرض عنهما كان إعراضه سبباً في ضلاله .

محاربة الاستعجال :

إن من أهم مقتضيات المنهج التروّي والصبر ، ومحاربة الاستعجال واتساع الصدر لسير المنهج وإن طال حتى يصل الداعي إلى استجابة الناس لهذه الدعوة ، وخضوعهم لدين الله تعالى كما دخل الناس بعد فتح مكة في دين الله أفواجاً ، وإذا تأملنا في المنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في دعوته فإننا نراه قد استمر سنوات تربو على العشرين من مبتدئه وحتى أكمل الدعوة وخاطب الناس في حجة الوداع مبيناً اكتمال هذا الدين وتمامه .

إن ذلك المنهج النبوي الحكيم لم يوافق بعض الصحابة الذين صدقت نواياهم ، واستشرفت قلوبهم نصرة الدعوة غيرَةً عليها بل طلب منهم النبي ﷺ عدم العجلة ، وأمرهم بالصبر ، وأبرز مثال على ذلك ما كان في صلح الحديبية إذ رأى بعض الصحابة ومنهم الفاروق - رضي الله عنه - أن هذا الصلح ذلة ومهانة للدعوة وأهلها في حين كان هذا الصلح لمن التزم المنهج فتحاً مبيناً .

وقد بين عمر - رضي الله عنه - شدة غضبه من ذلك الصلح فقال : « أتيت نبي الله ، فقلت : ألسنت نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى . أفأخبرتك أنك تأتيه العام ؟ قال : قلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوف به^(١٨١) .

ومما يدل على أنه كان فتحاً ما رواه البراء بن عازب^(١٨٢) [ت: ٧٢هـ]
- رضي الله عنه - قال : « تعدون الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ،
ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية^(١٨٣) .

وعن زيد بن أسلم^(١٨٤) [ت: ١٣٦هـ] عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان
يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عن شيء فلم
يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، وقال عمر :
ثكلتك أمك يا عمر نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك ،
قال عمر : فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين ، وخشيت أن ينزل في
قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي . قال : فقلت : لقد خشيت
أن يكون نزل في قرآن ، وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال : « لقد
نزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ : ﴿ إِنَّا
فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ ﴾^(١٨٥) .

ومما لا شك فيه أن هذا التصرف من عمر وغيره من الصحابة - رضي الله
عنهم - ما هو إلا اجتهد منهم ورغبة في إذلال المشركين^(١٨٦) .

فهذا الصلح مع المشركين كان من الصحابة الكرام من لا يريده ، ويريد
مقابلتهم ، وأما صاحب المنهج ﷺ فإنه أراد وكتب العهد بينه وبين المشركين
وقد أثمر الفتح الأكبر بعده بسنة تقريباً ، ثم إن هذا الصلح يعد اعترافاً من
قريش بكيان المسلمين لأول مرة فعاملتهم معاملة الند للند ، وبسببه زالت هبة
قريش بدليل مبادرة خزاعة للانضمام إلى حلف المسلمين دون خشية من
قريش كما كان في السابق . وقد أتاح هذا الصلح للمسلمين مضاعفة
جهودهم لنشر الدعوة فخطبوا ملوك العجم ومن ولاهم من العرب ودعواهم
إلى الإسلام^(١٨٧) .

ومن هذا نستفيد في عصرنا الحاضر أنها لا توافق رغبات بعض المتحمسين للدعوة الذين صدقت نواياهم ، ولكنهم محتاجون إلى البصيرة التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١٨٨) ، وقد تقدم قول ابن القيم - رحمه الله - عن إسلام أبي بكر - رضي الله عنه - «فأزر رسول الله ﷺ ودعاه على بصيرة» وهي زيادة منزلة لأبي بكر - رضي الله عنه - لأنه قد يحدث من بعض المهتدين - وعلى الأخص قريب الهداية - حماس شديد لنصرة الدعوة . فما لم يكن هذا الحماس مسدداً بالعلم والتجربة والروية فإنه - على الأغلب - يقود إلى الأخطاء ، وقد قيل : إن الحماس من غير بصيرة يقود إلى التهور . ومثل هذا - من غير شك - يضر الدعوة والداعي والمدعو بل ويفسد على الدعاة الذين التزموا المنهج الصحيح .

أهمية الدعاء بعد بذل الأسباب :

بعد التقيد بالمنهج الصحيح ، وعدم الاستعجال ، يجتهد الداعي بفعل الأسباب كما فعل النبي - ﷺ - عند هجرته إذ استخدم كل الأسباب التي يهتدي إليها العقل البشري مشرعاً لأئمة فعل الأسباب ثم يكون قلبه مرتبطاً بالله تعالى معتمداً عليه ثم بعد ذلك ينبغي ألا يتكل الداعي على هذا المنهج مهما علم صحته وموافقته للشرع بل عليه أن يقتدي برسول الله ﷺ صاحب المنهج إذ كان مع شدة تأكده من نصر الله تعالى له ، ولدعوته لا يفتأ يدعو الله ويتضرع إليه بأن ينصر هذه الدعوة وأن يعز أهلها .

ففي غزوة بدر كان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم حتى إنه كان يشير إلى أماكن متفرقة من الأرض ويقول : هذا مصرع فلان ، وقد وقع الأمر كما أخبر ومع ذلك فقد وقف طوال ليلة الغزوة في العريش الذي أقيم له يجأر إلى الله

تعالى داعياً متضرعاً يقول : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أجنّهم الغداة » وظلّ باسطاً كفيه إلى السماء حتى أشفق عليه أبو بكر - رضي الله عنه - فالتزمه وقال له : « يا رسول الله ! أبشر فوالذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك » وأقبل المسلمون أيضاً يستنصرون الله ويستغيثونه^(١٨٩) .

ومثال آخر لتضرعه ﷺ ما كان يوم الأحزاب إذ كان يقول : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب . اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم^(١٩٠) ، والأمثلة كثيرة .

فعلى الداعي أن يجتهد بالتمسك بالمنهج الصحيح ، وأن يحارب الأخطاء بمحاربة أسبابها وأن يبذل الأسباب ، وبعد ذلك يتوجه إلى الله تعالى داعياً متضرعاً لقبول دعوته ونصرها على الباطل .

المبحث الثالث

فقه الدعوة المتعلقة بالداعي

أولاً : مسؤوليات الداعي :

إن أدنى درجات المسؤولية بالنسبة للداعي مسؤوليته عن نفسه ، إذ تتوجب عليه قيادتها والعمل على استصلاحها وإنقاذها من الضلال المفضي إلى العذاب في الدنيا والآخرة لقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾^(١٩١) وتلك هي الدرجة الأولى .

أما الدرجة الثانية فهي مسؤوليته عن دعوة أهله وأقربيه وهذا ما فعله رسول الله ﷺ إذ قدم إنذارهم على إنذار غيرهم ؛ لأن الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم^(١٩٢) ، وهم أحق الناس بالإحسان الديني

والدنيوي^(١٩٣) وهذه الدرجة من المسؤولية يشترك في ضرورة تحمل أعبائها كل مسلم صاحب أسرة أو قريب ، فكما لا يجوز للنبي ﷺ أن يقعد عن تبليغ قومه ما أوحى إليه ، فكذلك لا يجوز لرب الأسرة أن يقعد عن تبليغ أهله وأسرته ذلك^(١٩٤) .

وأما الدرجة الثالثة فمسؤولية العالم في حيّه وبلده لأنه وارث النبي ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام : «العلماء ورثة الأنبياء»^(١٩٥) وهو يتحمل من المسؤولية ما لا يتحمله بقية أفراد المجتمع لما آتاه الله من حجة .

ثانياً: نقاء الدعوة من مصالح الداعي الشخصية:

تقدم أن قريشاً اتبعت أساليب كثيرة لمحاربة الدعوة ، وقد كان من بين تلك الأساليب أسلوب الترغيب ، وذلك بعرض المال والشرف والملك عليه ﷺ لإغرائه بتقديم مصالحه الشخصية على مصلحة الدعوة ، ولكن رسول الله ﷺ أظهر لهم موقفه أمام هذا الأسلوب كما أظهره أمام أساليبهم الأخرى .

لقد عرض الله عز وجل على طريقة الاستفهام الإنكاري احتمالاً لو وجد في الواقع لكان لمشركي مكة عذر في عدم استجابتهم لدعوة الرسول ﷺ ، وهذا الاحتمال هو كون الرسول ﷺ يسألهم أجراً على ما يقوم به من مجاهدة في دعوتهم ، ونصحهم ، وتعليمهم ، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، فقال الله تعالى مخاطباً رسوله في تعريضه باستفهام إنكاري عليهم إذ لم يستجيبوا لدعوته : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾^(١٩٦) ثم أنزل الله تعالى توجيهاً للرسول ﷺ أمره فيه بأن يقول لقومه : ما أسألكم عليه من أجر ، معلناً لهم هذا المقال لطمأنتهم بأنه لا يبتغي

لنفسه مصالح دنيوية لدى الذين يستجيبون لدعوته ولقطع تعللاتهم بأنه طالب مصالح دنيوية لديهم من مال أو زعامة أو ملك، وليرد على عروضهم التي عرضوها عليه من أمور الدنيا بشرط أن يترك دعوته فقال تعالى :

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٧﴾ إِنَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١٩٧).

وعلى هذا فإذا أراد الداعية قبول دعوته فعليه أن يتجرد من مصالحه الشخصية لدى من يدعوهم ؛ لئلا يكون الاتهام بالمصلحة الشخصية عقبة صادة لنفوس الناس عن الاستجابة للدعوة، والاهتداء بأنوار الهداية الربانية، ولئلا يتخذ المدعوون من هذه المصالح ذرائع يتذرعون بها لرفض الدعوة (١٩٨).

ثالثاً: مسؤولية المرأة تجاه الدعوة:

إن المرأة مكلفة بأعباء الدعوة كما كلف الرجل إلا أن تكليفها تكليف يتناسب مع طبيعتها وقدرتها ؛ لأن وظيفتها الفطرية في هذه الحياة تختلف عن الرجل فهي ذات مسؤولية خاصة تتعلق بالإنجاب والإرضاع، وخدمة الزوج وتحتاج إلى صيانة من غشيان المتدييات العامة لحماية أدبها وخلقها اللذين هما زينتها.

ولعلنا أن نذكر موقفاً واحداً مما مر معنا في تاريخ دعوة النبي ﷺ - لبيين لنا عظم أثر المرأة وقدرتها على التأثير . إنه موقف أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي ، لقد كان موقفاً عظيماً صدر من امرأة حسنة التصرف ، سريعة الفطنة ، ذات فضل وأدب كان له أثره على رسول الله ﷺ وهو أن تسليه المصائب والتخفيف عنه أمر مندوب إليه ، وذلك حينما جاءها الرسول ﷺ خائفاً يرتجف فطمأنته وسأقت إليه البشارة

بأن الله تعالى لن يخزيه ؛ لأنه يحمل صفات يحبها الله تعالى فلن يكافئه إلا بما يقابلها .

يقول النووي^(١٩٩) - رحمه الله تعالى - : « وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشير ، وذكر أسباب السلامة له ، وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة - رضي الله عنها - وجزالة رأيها ، وقوة نفسها ، وثبات قلبها ، وعظم فقهها^(٢٠٠) .

ويقول ابن حجر^(٢٠١) [ت : ٨٥٢ هـ] - رحمه الله تعالى - : « وفي هذه القصة استحباب تأنيس من نزل به أمر بذكر تيسيره عليه وتهوينه لديه ، وأن من نزل به أمر استحباب له أن يطلع عليه من يثق بنصيحته وصحة رأيه^(٢٠٢) .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : لقد علمت صديقة النساء بكمال عقلها وفطرتها وبما في رسول الله ﷺ من الصفات الفاضلة ، والأخلاق والشم أن من كان كذلك لا يخزيه الله أبداً ؛ لأن الأخلاق الفاضلة والشم الشريفة تناسب أشكالها من كرامة الله وتأيده وإحسانه ، ولا تناسب الخزي والخذلان وإنما يناسبه أضدادها ، فمن ركب الله على أحسن الصفات وأحسن الأخلاق إنما يليق به كرامته وإتمام نعمته عليه ، ومن ركب على أقبح الصفات وأسوأ الأخلاق إنما يليق به مما يناسبها^(٢٠٣) .

لقد كانت خديجة - رضي الله عنها - أهلاً لأن يقرئها ربها السلام ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك ، فاقرأ عليها السلام من ربها ، ومتى ، وبشرها في الجنة بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب^(٢٠٤) .

إنها لم تصل إلى هذه المرتبة والمكانة إلا لخدمتها المتميزة للدعوة النبوية إذ آمنت وصدقت بما جاء من عند الله تعالى ، وآزرت رسوله ﷺ وكانت أول من آمن بالله ورسوله ، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ فلم يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه ، وتكذيب له فيحزنه إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته ، وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس .

إن هذا الموقف درس للمرأة المسلمة الداعية أن تكون دعوة الله ورسوله هي التي تملأ عليها كيائها وحياتها ، ووجودها أمام أسوتها خديجة وأن تجعل حياتها ومالها وجاهاها في سبيل الله ^(٢٠٥) .

رابعاً: أهمية التأخي والتآلف بين أتباع الدعوة:

بعد وصول النبي - ﷺ - إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار - كما تقدم - ^(٢٠٦) ؛ لتدوب في ذلك المجتمع عصبية الجاهلية ، وتحل حمية الإسلام محلها ولتسقط فوارق النسب واللون فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بتقواه ^(٢٠٧) .

لقد نجحت هذه المؤاخاة والتآلف ؛ لأنها كانت مسبقة بعقيدة يتم اللقاء عليها ، والإيمان بها ، إنها العقيدة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ من عند الله تعالى والتي تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله تعالى دون النظر لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح ^(٢٠٨) ثم إن أفراد ذلك المجتمع يسعون لغاية واحدة ، ويضحون بالأنفس والأموال في سبيلها ، ألا وهي نصره هذه الدعوة التي جمعتهم من بعد فرقة ، وأعزهم الله تعالى بها من بعد ذلة ، وأمنهم من بعد خوف .

إن التأخي والتآلف سبب لترابط المجتمع المسلم وتماسكه المفضي إلى

قوة الدولة الإسلامية، وسعي جميع أفرادها إلى حمايتها والذود عنها، ومحاربة أي عدو يتناول عليها؛ ذلك لأنهم يشعرون بالجسدية الواحدة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢٠٩).

وإذا أراد أتباع الدعوة في العصر الحاضر أن تكون لدعوتهم ثمرة كثرة دعوة أولئك السلف الصالح، وأن يتم لمجتمعهم ما تم للمجتمع الأول من صلاح أفرادهم وترباط صلاتهم فعليهم الالتفاف حول الإمام الذي اجتمعت عليه الكلمة، وتجمع به الشتات، ثم الالتصاق بالعلماء الراسخين في العلم الذين ينطلقون بدعوتهم وتصرفاتهم من منطلق العلم الشرعي، والوعي الدعوي اللذين يمثلان حصانة - بإذن الله تعالى - للدعوة من المزالق والانحرافات.

ثم عليهم أن يحرصوا على العلاقات الاجتماعية الحسنة بجميع أفراد مجتمعهم لتتألف القلوب، وتصفو الأنفس بين بعضهم البعض. ومن أهم تلك العلاقات الحسنة التي تكسب حب الناس ومودتهم: المبادرة بالسلام، والابتسامة وتسليه المصاب، وتهنئة الفرح، وعيادة المريض، وإصلاح ذات البين، والمؤانسة والملاطفة، ومخاطبة كل إنسان بحسب ما يتناسب معه ويسره، وكل ذلك يجب أن يكون مضبوطاً بضابط الشرع.

فإذا تم ذلك سهل التناصح بينهم، وصاروا كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢١٠).

إن هذه الألفة والأخوة إذا تمت فإنها تقضي على الغش، والجبن،

والبخل ، والجشع والسعي وراء حظوظ النفس على أكتاف الآخرين ؛ لأن هذه كلها نقيضة الأخوة ، فلا يمكن أن تجتمع معها ، فأساس الأخوة المحبة التي تجعل الفرد يحب لأخيه في هذا المجتمع ما يحب لنفسه ويكون الجميع عباد الله إخواناً .

خامساً: الحرص على المدعوين:

تقدم أن النبي ﷺ عند اشتداد المرض عليه وقبيل وفاته - عليه الصلاة والسلام - استمر في دعوته لأمته ، ولم يقطع المرض بل لم يترك النصيحة ونفسه تغرغر ، فهو ﷺ يحذر من الانحراف في العقيدة بعد وفاته ، ومن اتخاذ قبره مسجداً أو وثناً يعبد من دون الله تعالى . وفي النهاية جعل يحذر أمته من ترك الصلاة ويردد « الصلاة وما ملكت أيمانكم »^(٢١١) .

إن هذا الحرص من النبي ﷺ على بقاء أمته على الدين والاستقامة على تعاليمه يشحذهم الدعوة ؛ ليزدادوا حرصاً على الناس فلا تشلغهم أموالهم ولا أولادهم عن الدعوة ، كما أن النبي ﷺ لم يشغله المرض ولا خروج الروح وسكرات الموت عن المدعوين .

سادساً: لزوم الجماعة وأثر ذلك على الدعوة:

رأينا كيف تمت بيعة العقبة الكبرى التي أصبحت أساساً لقيام الدولة الإسلامية في المدينة ، ويجدر أن نشير هنا إلى أن من أهم عوامل نجاح الدعوة وحمايتها في كل زمان تنصيب إمام يتولى الحكم وإدارة شؤون الناس ويحمي الدعوة وذلك من فرائض الإسلام ، والطاعة له بالمعروف واجبة على المسلمين ، دلّ على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٢١٢) وأولو الأمر هم الأمراء ، وأدخل بعض

المفسرين العلماء أيضاً^(٢١٣).

ومن السنة قوله ﷺ: «ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٢١٤) وفي حديث آخر «لتنقض عرى الإسلام عروة عروة وأولها نقضاً الحكم وآخرها الصلاة»^(٢١٥).

ومن الإجماع قول الفقهاء: نصب الإمام واجب بالإجماع. قال الماوردي وأبو يعلى: عقد الإمامة لمن يقوم في الأمة واجب بالإجماع^(٢١٦).

ويقول ابن خلدون^(٢١٧) [ت: ٨٠٨ هـ]: «إن نصب الإمام واجب، فقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر - رضي الله عنه - وإلى تسليم النظر إليه في أمورهم وكذا في كل عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام»^(٢١٨).

ويقول ابن تيمية: يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين لا قيام للدين إلا بها^(٢١٩).

إذا عرفنا وجوب تنصيب الإمام وأنه من فرائض الإسلام بقي أن نعرف أن من حقوق الإمام على الرعية السمع والطاعة كما يقول عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - : «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»^(٢٢٠).

وهنا نرى أن السمع والطاعة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ولخلفائهم فيما يحب الفتى ويكره مما أمر به أو نهى عنه لا فرق عنده بين حالتي العسر واليسر، بل هو عبد لله طائع لأمره في غير معصية الله قائداً وجندياً، لا

ينازع الإمام في شيء إلا ما أنكره قلبه ، وكان الدليل عليه قطعياً ، فهو مسالم متباعد عن الفتنة وإثارة الخلاف بين الأئمة والأمة^(٢٢١) .

وقد جاء الدليل على لزوم الجماعة ومحاربة الفرقة ، وذلك فيما رواه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد^(٢٢٢)» .

إن مخالفة الجماعة أو مخالفة رأي الإمام والخروج على أمره إذا أمر بحق سبب لنزول العقوبة والبأس على أتباع الدعوة وعلى الدعوة نفسها ، كما حدث في غزوة أحد لما خالف الرماة أمر إمامهم ﷺ ملتفتين إلى الدنيا فأذاقهم الله تعالى عاقبة المعصية كما قال جل وعلا : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تَحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ﴾^(٢٢٣) .

إن ما ترتب على عصيان الأوامر في هذه الموقعة درس عميق يتعلم منه المسلمون قيمة الطاعة ، فالجماعة لا يحكمها إلا أمر واحد ، والتي تغلب على أفرادها النزاعات ومفارقة الجماعات لا تنجح في دعوتها ؛ ولذلك لما دهش المسلمون للكارثة التي قلبت عليهم الأمور بين الله تعالى لهم أنهم هم مصدرها فما أخلفهم موعداً ولا ظلمهم حقاً^(٢٢٤) ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾^(٢٢٥) ولعلنا أن نذكر هنا بعض آثار تلك المعصية على الدعوة وأتباعها فيما يلي :

أولاً : إن أعظم الآثار وأشدّها وقعاً على نفس المؤمن أن يُنَالَ من رسول الله ﷺ ويؤذى في جسده الطاهر - عليه الصلاة والسلام - فقد وقع لشقه ،

وشج رأسه ، وكسرت رباعيته ، وساح الدم غزيراً على وجهه ، وقتل جمع من أصحابه الكرام ، وكل ذلك من نتائج تلك الخطيئة خطيئة أولئك المؤمنين في الخروج على الأوامر^(٢٢٦) .

ثانياً: لقد تغيرت نفوس أعداء الدعوة ، فبعد أن اكتسح الرعب أفئدة الآلاف الثلاثة ، وسارعت الهزيمة إلى صفوف المشركين فولوا الأدبار ، بعد هذا وبعد المعصية من جنود الدعوة تحول هذا النصر إلى هزيمة لجندها ، وانقلب الرعب الذي في أفئدة المشركين إلى استبسال جديد ، فقتلوا من بقي على الجبل وأوجعوا المسلمين رمياً بالسهام ، وجاء الرعب هذه المرة ليغزوا أفئدة المسلمين فيفر بعضهم^(٢٢٧) .

ثالثاً: شماتة المنافقين بما حصل للمسلمين ، وسرورهم بذلك فتناولوا بالقول والسخرية ، وقالوا: ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب هكذا نبي قط . أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه^(٢٢٨) .

رابعاً: طمع القبائل في النيل من المسلمين ، فحصلت محنة سرية الرגיע واستشهاد أحد عشر من الصحابة ، وجرت محاولات لغزو المدينة ، ومحاولات لاغتيال الرسول ﷺ^(٢٢٩) .

وبعد أن رأى أصحاب رسول الله ﷺ هذه الآثار ، وذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ إمامهم وقائدهم كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة وتحرزاً من أسباب الخذلان^(٢٣٠) .

ونخلص من هذا إلى أنه يجب على الدعاة اليوم تربية الناس وتوجيههم إلى لزوم الجماعة ، ومحاربة الفتن حتى يسلم لهم دينهم ، وينجوا من العقوبة كما حصل للمسلمين بعد غزوة أحد .

سابعاً: أثر وفاة النبي ﷺ على الدعوة:

إن حادث وفاة الداعي الأول محمد ﷺ كما أثر على الصحابة الكرام فإنه قد أثر أيضاً على الدعوة ؛ لأنه قد غاب بوفاته عن الدعوة أكمل إنسان في الدنيا وأعظم إنسان فيها . وما فقدته البشرية ورزئت به من غياب شخصه ﷺ عنها هو أمر جلل لا تعدله مصيبة ، إذ غاب عن هذه الأرض سيد ولد آدم ، أعظم القادة ، وأعظم المرين والدعاة ، وأعظم الحكام ، وأعظم العلماء ، وأعظم البشر أجمعين ، خاتم النبيين ورسول رب العالمين ^(٢٣١) .

وبوفاته ﷺ فتحت على الدعوة أبواب الفتن مصداق ذلك قوله ﷺ «النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ^(٢٣٢)» .

ويقول ﷺ : «ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل ^(٢٣٣)» .

نعم لقد فتحت أبواب الفتن إذ ارتدت العرب ، واشترأت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ^(٢٣٤) .

ويقول القرطبي - رحمه الله تعالى - مبيناً ذلك : «انقطع الوحي ، وماتت النبوة وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك ، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه ^(٢٣٥)» .

وتبين أم سلمة - رضي الله عنها - الفتن التي أصابت المسلمين فتقول :

«كان الناس في عهد رسول الله ﷺ إذا قام المصلي يصلي لم يعدُ بصر أحدهم موضع قدميه ، فتوفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعدُ بصر أحدهم موضع جبينه ، فتوفي أبو بكر وكان عمر ، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعد بصر أحدهم موضع القبلة ، فتوفي عمر ، وكان عثمان وكانت الفتنة ، فتلقت الناس يمينا وشمالا^(٢٣٦) .

ومنذ ذلك الحين والدعوة تعيش بين معترك الفتن التي لا سلامة منها إلا بالتزام المنهج الصحيح الذي سار عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام والسلف الصالح لهذه الأمة .

المبحث الرابع

فقه الدعوة المتعلق بالمدعو

أولاً: أصناف المدعوين :

بالنظر إلى تاريخ دعوة النبي ﷺ نجد أن المدعوين يتغايزون ويتميزون في الاستجابة والإنكار ، فمنهم من يستجيب حال سماع الدعوة دون تردد كخديجة وأبي بكر وعلي - رضي الله عنهم - ومنهم من ينكر إنكاراً قاطعاً ويتخذ موقف المعاداة لصاحب الدعوة . وإن كان راضياً عنه قبل هذه الدعوة كأبي جهل وأبي لهب ، ومنهم من يتردد فلا يؤمن إلا بعد مدة تطول أو تقصر ككثير من الصحابة . فعن أبي موسى الأشعري (ت : ٤٤هـ) - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأولجوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة فصباحهم الجيش فاجتاحهم^(٢٣٧) .

وقد بين ابن القيم - رحمه الله - طريقة الدعوة التي تسلك مع هذه الأصناف فقال : جعل الله سبحانه وتعالى مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق ، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند يدعى بطريق الحكمة - أي بمجرد عرض الدعوة والنصح والإرشاد - والقابل الذي عنده غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرونان بالترغيب والترهيب والمعاند الجاحد يُجادل بالتي هي أحسن ^(٢٣٨) .

وهناك قسم خفي يندس بين أتباع الدعوة ليفسدها ويفرق أتباعها ، وهم المنافقون ، وقد ذكر الله تعالى مواقفهم مع رسول الله ﷺ وسعيهم الدؤوب للقضاء على دعوته أو خذلانها ، ففي أحد انخدل ابن أبي بثلث الجيش وترك رسول الله يقابل الأعداء وأبقى ثلثة من أتباعه المنافقين لإشاعة الفوضى والرعب في صفوف المؤمنين يقول الله تعالى في ذلك : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَٰؤُلَاءِ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ^(٢٣٩) .

وأما في غزوة الأحزاب فقد أخبر الله تعالى عن موقفهم بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ^(١٣١) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوهَُا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا لَيْسِيرًا ^(١٤١) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَِّ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ^(١٥١) قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَغْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ^(١٦١) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً اللَّهُ أَعْمَلُهُمْ ﴾ ^(٢٤٠) .

لقد كان الوحي يكشف هذا الصنف من الناس على عهد رسول الله ﷺ
فيأخذ المؤمنون حذرهم منهم . وفي هذا العصر على أتباع الدعوة التوجس
خيفة من كل من عمل كعملهم من السعي لمحاربة العلماء وغرس بذور
الفرقة بين المؤمنين حتى لا يشغل المؤمنون ببعضهم ويُسْغَلُوا عن الدعوة .
ثانياً : النظرة الصحيحة للمدعو :

ينبغي للداعي أن ينظر للمدعو الذي قد ارتكب المعاصي نظرة رحمة
وشفقة على أنه مريض يريد من ينقذه لا أنه عدو ينبغي أن يُتخلص منه
فالمؤمن يدعو الناس بدافع الرحمة بهم لنجاتهم من عذاب الله وظفرهم
بالسعادة الخالدة . فحال الداعي هذا كحال الطبيب الرحيم الناصح الحريص
على إنقاذ مرضاه مما هم فيه من أمراض .

فكما كانت الرسالة الإسلامية رحمة من الله لعباده وكان الرسول ﷺ
رحمة للصالحين فيجب أن يكون الداعي إلى هذه الرسالة مقتدياً برسول الله
ﷺ وذلك بأن يملأ قلبه بمشاعر الرحمة للمخالفين لإنقاذهم (٢٤١) .

لقد كانت رحمة النبي ﷺ بمخالفيه من المدعوين رحمة عظيمة حتى
بلغت حدّ التأثير عليه ﷺ والقرآن يخفف عليه هذا الحزن ويسليه كما في
قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٢٤٢) .

إن هذه الرحمة بالمدعوين هي التي جعلت النبي ﷺ يقول يوم فتح مكة
لكفار قريش الذين طالما قاتلوه وخططوا للقضاء عليه وعلى دعوته : لا
تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم . فيا ترى ما وقع هذه الكلمة على نفوس
أناس وقعوا بين يدي من أرادوا قتله علناً وجعلوا الفداء لمن يأتي به حياً أو

ميتاً؟ إنها الرحمة التي حملها ﷺ في قلبه الطاهر . وإنها فتح لباب الأمل في قلوبهم لقبول هذه الدعوة ، فالغاية إنقاذ الناس من الضلال والعذاب وليست الغاية السيطرة والتعالي على القوم الذي أخرجوه وطردوه واستهزأ به .

ثالثاً : موانع استجابة المدعو :

لقد تقدم في تاريخ دعوة النبي ﷺ ذكر موقف قومه من دعوته وعدم استجابة بعض المدعوين لهذه الدعوة فما الذي يمنعهم من الاستجابة ؟

هناك موانع كثيرة لاستجابة هؤلاء قد كان من أبرزها ما يلي :

الأول : مانع الكبر : يقول ابن منظور : استكبار الكفار كان في عدم قولهم لا إله إلا الله ^(٢٤٣) لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ^(٢٤٤) . إن الكبر هو أول معصية ارتكبت ^(٢٤٥) إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢٤٦) ، وقد ذكر الله عز وجل أبرز مواقف المتكبرين من دعوة النبي ﷺ فقال عن مجادلتهم بالباطل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ ^(٢٤٧) ، وقال تعالى عن استهزائهم بالداعي والدعوة : ﴿ وَإِذَارَاهُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنِّي تَنَجَّدُوكَ إِلَّا هُرُوا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ^(٢٤٨) ، وقال جل وعلا في سعيهم لصد الناس عن الحق : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ ^(٢٤٩) ، وقد كان فعل قريش التدبير والتخطيط لصد الناس عن الدعوة ، وما قادهم لذلك إلا الكبر الذي تمكن في نفوسهم .

الثاني : مانع الحسد : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

والتحقيق أن الحسد هو البغض والكره لما يراه من حال المحسود^(٢٥٠) ،
يقول الله تعالى عن حال كفار مكة : ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۖ ﴾^(٢٥١) ، أي يتمنون لكم الشدة والتعب والضرر، وعجزوا عن إخفاء ذلك، فلاح في صفحات وجوههم وفتحات ألسنتهم ما يُعلم به بغضهم للمسلمين^(٢٥٢) ويقول جل وعلا في حسدهم للضعفاء أتباع الدعوة : ﴿ أَهْوَلَاءُ مِّنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيِّنَاتٍ ﴾^(٢٥٣) ، وشاهد آخر يدل على حسد الأفراد من كفار قريش لهذه الدعوة أن أبا جهل أبان حقيقة ما في نفسه لأحد أقربائه تجاه محمد ﷺ وهي أنه يعرف صدق رسالته، وما يمنعه من اتباعه إلا الحسد فيقول : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع له ولا نصدقه^(٢٥٤) .

وعن حسد اليهود الذين وجه لهم الرسول ﷺ الدعوة يقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴾^(٢٥٥) .

الثالث : مانع التقليد الأعمى : فقد كان تدين كثير من منكري دعوة النبي ﷺ مبنياً على أصول أعظمها التقليد، يقول جل وعلا : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاتِرِهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾^(٢٥٦) يدل على ذلك موقف أبي طالب عند وفاته ، وتقديمه دين آبائه على هذه الدعوة التي قام هو بمناصرتها والدفاع عن صاحبها^(٢٥٧) .
ولما كان أبو لهب يتبع رسول الله ﷺ بين القبائل ويكذبه كان يقول : « لا

يغرنكم عن دينكم ودين آبائكم» (٢٥٨) .

إن منشأ هذه الموانع من قبول الدعوة أربعة أركان هي : الجهل ، والظلم والشهوة ، والغضب ، فالأخلاق الذميمة يولد بعضها بعضاً ، كما أن الأخلاق الحميدة يولد بعضها بعضاً (٢٥٩) .

المبحث الخامس

فقه الدعوة المتعلق بنتائج الدعوة

إن الحديث عن نتائج الدعوة ، والنظرة المستقبلية لها ، يقتضيان التمهيد لهذا الحديث بأهمية التفاؤل إذ ينبغي للداعي أن يكون متفائلاً في كل وقت ، مؤملاً بالخير من الله تعالى ؛ لأن التفاؤل مهم في حياة الداعية فهو يعين على التفكير السوي المشرق ، وبدونه تطبق عليه ظلمات اليأس فلا يملك بصيرة حية يستطيع بها مواصلة مسيرة دعوته .

إن الداعية يعرف أن طريق الدعوة قد تتخلله بعض المصاعب ، وربما تحل بالدعوة الأهوال الجسام ، كما حدث للدعوة في عهد النبي ﷺ بعد غزوة أحد وأثناء غزوة الخندق ، ولكنه لا يقنط ولا ييأس بسبب هذا أبداً ، بل يسلم بإمكان حدوثها ، ويوطن نفسه على التعامل معها بكل تفاؤل ، ونظر مشرق بما أوتي من علم وبصيرة .

ولنا من تاريخ دعوة النبي ﷺ مثالان يدلان على أهمية التفاؤل للداعية.

الأول : لما منع كفار قريش نبي الله تعالى وصحبه الكرام من الوصول إلى البيت ، وأوقفوهم في الحديبية ، وأملوا شروطاً قاسية على المسلمين ، فكيف كان الموقف بين أتباع الدعوة ؟

لقد غضب كثير من الصحابة الكرام الذين لا يريدون ذلة للدعوة ، بل إن

عمر - رضي الله عنه - يسأل النبي ﷺ : أأست رسول الله ؟ ألسنا على الحق ؟ والرسول ﷺ يجيبه ، ويكاد الهم أن يأكل قلوب بعض المؤمنين . ويشاء الله تعالى والمؤمنون على ما هم عليه أن يرسل الفرج والبشارة إليهم فأنزل عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(٢٦١) فانظر كيف تحول الهم إلى نظر مشرق لوعد الله تعالى فطابت نفوس المؤمنين .

والثاني : في غزوة الخندق والمؤمنون يحفرون الخندق ، وقد رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وتجمع عشرة آلاف مقاتل يريدون القضاء على الدعوة ، فما الموقف في هذه الظروف العصيبة ؟

. في هذه الأثناء التي قد يترك اليأس قلوب بعض المسلمين بشر النبي ﷺ صحابته ببشائر عظيمة ، وذلك حينما اعترضت صخرة للصحابة وهم يحفرون فضربها الرسول ﷺ ثلاث ضربات فتفتت قال إثر الضربة الأولى : «الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة ، ثم ضربها الثانية فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض ، ثم ضرب الثالثة وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة» ^(٢٦١) .

نعم إن البشارة من الله تعالى جعلت النبي ﷺ يتأكد من وعد الله تعالى والمؤمنون يتفاءلون وهم في أشد المواقف .

إن الداعية بحاجة إلى قبول الناس ، والناس يميلون راغبين إلى مصاحبة المتفائلين ويأنسون معهم ، ويتعلقون بهم ، ويحبون مجالستهم ، والحديث إليهم والاستماع إلى كلامهم ، والاقتراب من سلوكهم ومواقفهم ؛ ذلك لأن المتفائلين يشيعون بين الناس روح الطمأنينة والتخلص من الهم ، ويهونون ما يحس به الناس ، ويعمدون إلى بث الأمل في النفوس ، فهم لا يزيدون قلق

الناس ، ولا يضحون ما في القلوب من خوف واضطراب .

إنهم بهذا الدور المحبوب يأخذون بأيدي الناس إلى طريق السعادة والهداية^(٢١٢) .

وأما نتائج الدعوة فإن من ينظر في تاريخ دعوة النبي ﷺ يرى كيف تتغير الأحوال وكيف أن العاقبة للمتقين .

ففي الوقت الذي كانت قريش تطارد رسول الله ﷺ وتخيفه ، كان أهل المدينة يتساءلون: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف . وفي الوقت الذي تتآمر قريش لقتل رسول الله ﷺ وتبذل الأموال لمن أحضره حياً أو ميتاً ، كان أهل المدينة يستعدون فرحين بمقدمه عليهم ، وكانوا يخرجون كل صباح خارج المدينة لاستقباله .

وفي النهاية وبعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة ، وطول جهاد مع الكفرة يدخل النبي ﷺ مكة خاشعاً متضرعاً لله تعالى ، يحطم الأصنام التي طالما أوذي من أجلها وأهين لقدرها عند المشركين ، فهو الآن يسقطها تالياً قول الله تعالى : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾^(٢١٣) ويعتلي بلال الكعبة ويردد «الله أكبر ، الله أكبر» بعدما كان يردد في شعاب مكة على أيدي الغلمان «أحد ، أحد» .

ولما هاجر المسلمون هاجروا مختلفين خائفين مجموعات وأفراداً ، ولما كانت حجة الوداع عاد النبي ﷺ ومعه ما يربو على مائة ألف من أتباع الدعوة قادمين من المدينة ، وقد كان أول وفد خرج من المدينة متبعاً الدعوة اثني عشر رجلاً فقط .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على النبي الأمي إمام المرسلين وسيد الخلق أجمعين ، أما بعد :

فلله الحمد والمنة ، وله الفضل على إتمام هذه النعمة ، حيث استكمل هذا البحث موضوعاته بعد جهد وإطلاع ، أسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان الحسنات ، وأن يقبله من الباقيات الصالحات .

وإذ بلغ الكتاب نهايته فإن من المناسب أن أذكر بنوداً مهمة ينبغي أن يدركها المهتمون بالدعوة ، وهي على النحو الآتي :

- أن لدراسة تاريخ الدعوة فائدة جلية للدعاة وسلامة المجتمع المسلم من الأخطار والانحرافات .
- أن الدعوة إلى التوحيد بدأت قبل عهد النبي ﷺ إذ بدأها المرسلون الذين أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم ليخرجوهم من الظلمات إلى النور .
- أن مراتب دعوة النبي ﷺ خمس مراتب كما عددها ابن القيم - رحمه الله - .
- أن النبوة هي أساس الدعوة .
- أن النبي ﷺ انطلق بدعوته حال أمر الله تعالى له دون تردد أو تقصير فبلغ غاية البلاغ وبيّن أحسن البيان .
- أن الناس لم يكونوا على قدر واحد من حيث الاستجابة والإنكار .
- أن دعوة النبي ﷺ دعوة عالمية ليست محدودة الزمان أو المكان .

- أن خير تاريخ يستنبط منه فقه الدعوة هو تاريخ دعوة النبي ﷺ .
- أن العجلة قد تضر بالدعوة أو تقضي عليها .
- أن مسؤوليات الداعي كثيرة فيحسن أن يرتبها حسب الأهم .
- أن من أهم ما يحفظ الدعوة التآخي والتآلف بين اتباعها ولزوم جماعتهم .
- أن هناك موانع تمنع المدعو من الاستجابة فيجدر بالداعي معرفتها .
- أن نتائج الدعوة بيد الله وحده وليس على الداعي إلا العمل والدعاء والأمر لله تعالى .
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .

الهوامش

- (١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢ .
- (٢) سورة النساء ، الآية : ١ .
- (٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٧٠ .
- (٤) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .
- (٥) انظر: أدب الكتاب ، أبو بكر محمد الصولي ، ط [القاهرة، ١٣٤١هـ] ص ١٨٠ ، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي ، ج٣ ط [القاهرة ١٩٢٥م] ص ٢١٤ .
- (٦) انظر: أدب الكتاب ، مصدر سابق ، ص ١٨٠ .
- (٧) انظر: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، حمزة الأصفهاني ، ط [برلين] ص ٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، مادة تاريخ ، ج٣ ، ص ٤٧٣ .
- (٨) انظر: أدب الكتاب ، مصدر سابق ، ص ١٧٨ .
- (٩) انظر: علم التاريخ عند المسلمين ، فرانز روزنتال ، ص ٢٣ .
- (١٠) «البردية» واحدة البردي وهو نبت معروف .
- انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، ج١ ، ط [بيروت: دار لسان العرب] ، ص ١٩٠ ، مادة «برد» .
- (١١) انظر: مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية ، السيد عبد العزيز سالم ، ط [الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة] ص ١٧ .
- (١٢) انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، السخاوي ، ط [نص عن كتاب روزنتال] ص ٣٨٥ .
- (١٣) انظر: مناهج البحث في التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٩ .
- (١٤) انظر: تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ج ٨ ، ط [بغداد ١٩٥٩م] ص ٤٠٦ . والكامل في التاريخ ، أبو الحسن بن الأثير ، ج ١ ، ط [بيروت ، دار الفكر ١٣٩٨هـ] ص ١٠ .
- (١٥) ابن الأثير : الشيخ العلامة المحدث الأديب النسابة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني ، مصنف ، «التاريخ الكبير» الملقب بالكامل ، وكتاب «معرفة الصحابة» و«تاريخ الموصل» مولده: بجزيرة ابن عمر سنة خمس وخمسين ، وتوفي في الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثين وستمائة .
- انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج ٢٢ ، ط ١ ، [مؤسسة الرسالة ، ١٤١١هـ] ص ٣٥٣ - ٣٥٦ .
- (١٦) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز ابن بكر بن عامر بن وائل بن الجماهر بن الأشعر ، أسلم بمكة ، وهاجر إلى الحبشة ، ثم قدم ورسول الله بخير ، توفي سنة ثنتين وخمسين في خلافة معاوية .
- انظر : [الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج ٤] ، ط [بيروت: دار صادر ، بدون سنة طبع] ص ١٠٥ - ١٠٦ .
- (١٧) انظر: الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٩ .
- (١٨) انظر: مناهج البحث في التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٣ - ٢٤ .

- (١٩) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ط [دار الرسالة] ص ١٦٥٥، ولسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ط [دار صادر] ص ٢٦١.
- (٢٠) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ٢، ط [بيروت: دار الفكر] ص ٢٧٩.
- (٢١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله أبو القاسم الحراني، الشيخ الإمام الفقيه المفسر المحافظ المحدث شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس بن القاسم شهاب الدين بن الإمام مجد الدين أبي البركات. ولد بخران عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.
- انظر: فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، ج ١، ط [لبنان: بيروت، دار صادر ١٩٧٣م] ص ٧٤ - ٨٠.
- (٢٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١٥، ط [الأولى ١٣٨٦هـ] ص ١٥٧.
- (٢٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
- (٢٤) انظر: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن باز، ط [الرياض: سفير ١٤١٥هـ] ص ٢٩.
- (٢٥) انظر: ترتيب القاموس المحيط، الطاهر الزاوي، ج ٣، ط [بيروت: دار الفكر، الطبعة الثالثة] ص ٥٢٨.
- (٢٦) انظر: المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ط [بيروت: مؤسسة الرسالة] ص ٩.
- (٢٧) السخاوي: هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، مؤرخ حجة، عالم بالحديث والتفسير والأدب - أصله من سخا من قرى مصر، مولده، بالقاهرة سنة ٨٣١هـ، ووفاته بالمدينة سنة ٩٠٢هـ.
- انظر: [الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٧، [الرياض: وزارة المعارف، ط ٣] ص ٦٧.
- (٢٨) انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، السخاوي، مرجع سابق، ص ٣٣.
- (٢٩) حسن بن عبد الله آل الشيخ: هو الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ، ولد بالمدينة ١٣٥٢هـ كان وزيراً للمعارف في المملكة العربية السعودية ثم وزيراً للتعليم العالي ورئيساً للندوة العالمية للشباب الإسلامي، له العديد من المؤلفات منها «كرامة الفرد في الإسلام» و «المرأة كيف عاملها الإسلام»، توفي سنة ١٤٠٧هـ.
- انظر: الدارة، العدد الثالث من السنة الثانية عشرة، ربيع الآخر سنة ١٤٠٧هـ، ص ٢٤٥ - ٢٤٩.
- (٣٠) انظر: تقديم كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ط [الرياض: دار الملك عبد العزيز، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ] ص ٧.
- (٣١) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ١، مصدر سابق، ص ٨.
- (٣٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ج ١، ط [بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ] ص ٦٩.
- (٣٣) سورة إبراهيم، الآية: ٩.
- (٣٤) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، ج ١٣، ط، [بيروت: دار المعرفة الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ] ص ١٢٥.
- (٣٥) انظر: بلوغ الأرب في أحوال العرب، محمود شكري الألوسي (٢)، ط، [القاهرة: دار الكتب الحديثة،

الطبعة الثالثة [ص ٢٦٢ ، وتاريخ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن الوردي ، ج ١ ، ط ، [القاهرة :
جمعية المعارف ١٢٨٥هـ] ص ٦٥ ، وكتاب الأصنام ، أبو المنذر بن الكلبي ، ط [القاهرة : المطبعة
الأميرية ١٣٣٢هـ] ص ٨ .

(٣٦) انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٧ ، ط ، [مطبعة الفجالة] ص ٤٦ ، السيرة النبوية ابن هشام ، ج ١
، ط ، [الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ] ص ٣٣٦ .

(٣٧) انظر : تاريخ يعقوبي ، ج ١ ، ط ، [بيروت : دار صادر ١٣٧٩هـ] ص ٢٠٥ .

(٣٨) انظر : أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي ، عبد الله بن محمد الموسى ، ط ، [الرياض :
عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ] ص ١٢١ .

(٣٩) ابن القيم : هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكّي زين الدين
الزكري ثم الدمشقي الحلبي ، الشهير بابن قيم الجوزية ، صاحب زاد المعاد في هدي خير العباد ، ولد
سنة ٦٩١هـ في اليوم السابع من شهر صفر ، وتوفي ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر رجب سنة
٧٥١هـ .

انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ١٤ ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

(٤٠) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم ، ج ١ ، ط ، [بيروت : مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة
والعشرون ١٤١٥هـ] ص ٨٦ .

(٤١) انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٣ ، مرجع سابق ، ص ٣٥ ، زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ١ ، مرجع
سابق ص ٧٧ - ٧٨ ، والسيرة النبوية ، ابن هشام ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٠٤ .

(٤٢) الغطّ : العصر الشديد والكبس ، ومنه الغط في الماء الغوص .

انظر : لسان العرب - ابن منظور ، ج ٢ ، ط ، [بيروت : دار لسان العرب ، ١٣٨٩هـ] ص ٩٩٨ ، مادة «
غطط » .

(٤٣) الكلّ : النقل من كل ما يتكلف ، و « الكلّ » العيال و « الكلّ » العيّل والنقل .

انظر : لسان العرب - ابن منظور ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩ .

(٤٤) ورقة بن نوفل : أمه هند بنت أبي بكر بن عبد بن قصي ، أحد من آمن بالنبي ﷺ قبل البعث .

انظر : السيرة النبوية ، ابن هشام الجزء الأول ، ط ، [شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ،
وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥هـ] ص ١٩١ .

(٤٥) الناموس : صاحب سر الرجل الذي يطلعه دون غيره على باطن أمر ، وجبريل .

انظر : المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ج ٢ ، ط ، [تركيا : استانبول ، المكتبة الإسلامية للنشر
والتوزيع] ص ٩٥٤ .

(٤٦) رواه الإمام البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ج ١ ، ط ،
[بيروت : المكتبة العصرية ١٤١١هـ] ص ٢٢ - ٢٣ ، ورواه الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب ما بدئ
به رسول الله ﷺ من الوحي .

انظر : مختصر صحيح الإمام مسلم ، المنذري ، ط ، [بيروت : المكتب الإسلامي الطبعة السادسة
١٤٠٧هـ] حديث رقم ٧٣ .

- (٤٧) انظر: الروض الأنف، السهيلي، ج ١، ط، [مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩١هـ] ص ٢٧٠ - ٢٧١.
- (٤٨) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
- (٤٩) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج ١، ط، [بيروت: المكتبة المصرية ١٤١٥هـ] ص ١٨٠ - ١٨٣.
- (٥٠) زيد بن حارثة: هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كمب بن عبد المعز بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان، الأمير الشهيد النبوي، المسمى في سورة الأحزاب، أبو أسامة الكلبي ثم المحمدي، سيد الموالى. توفي في مؤنة في جمادى الأولى، وهو ابن ٥٥ سنة.
- انظر: نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد حسن عقيل موسى، ج ١، مرجع سابق، ص ٢٣٠ - ٢٤٠.
- (٥١) رواه الإمام أحمد في المسند، ج ٢، مصدر سابق، ص ١٦٥ - ١٦٦.
- (٥٢) جاءت هذه الزيادة من رواية ابن إسحاق في كتابه السير والمغازي، مصدر سابق، ص ١٤٥ - ١٤٦.
- (٥٣) سورة الحجر، الآية: ٩٤.
- (٥٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ج ٣، ط [الرياض: رئاسة البحوث ١٤٠٣هـ] ص ٢٠٠ - ٢٠١، وتيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ج ٤، ط، [الرياض، رئاسة البحوث ١٤٠٤هـ] ص ١٨٠.
- (٥٥) زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، كان ممن فرَّ إلى الله من عبادة الأصنام، وساح في أرض الشام يطلب الدين القيم، رأى النصارى واليهود فكره دينهم، وقال: اللهم إني على دين إبراهيم، رأى النبي ﷺ ولم يمش حتى بعث.
- انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج ١، مرجع سابق، ص ١٢٤ - ١٤٣.
- (٥٦) قس بن ساعدة هو قس بن ساعدة بن عمرو، أحد الحكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، يقال: إنه أول من قال في كلامه أما بعد، وهو معدود في المعمرين.
- انظر: الأعلام، الزركلي، ج ٦، ط [الرياض: وزارة المعارف، الطبعة الثالثة]، ص ٣٩.
- (٥٧) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج ١، مرجع سابق، ص ٣٢٨، ومختصر سيرة الرسول ﷺ محمد بن عبد الوهاب، ط، [الرياض: رئاسة البحوث العلمية ١٤٠٨هـ] ص ٩١ - ٩٢.
- (٥٨) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، ج ٢، ط، [بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ] ص ١٨٦.
- (٥٩) انظر: دلائل النبوة، أبو نعيم الأصفهاني، ج ١، ط، [بيروت: دار النفائس، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ] ص ٢٣٢.
- (٦٠) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج ٨، مرجع سابق، ص ١٥٨، حديث رقم ٤٦٤٨.
- (٦١) سورة فصلت، الآية: ١٣.
- (٦٢) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، ج ٢، مرجع سابق، ص ٢٠٢.
- (٦٣) انظر: السيرة النبوية، ابن إسحاق، ج ١، ط، [دمشق: دار الفكر الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ] ص ٣٩٥.
- وللاستزادة من معرفة هذه الأساليب انظر: كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله، مرجع سابق، ص ١٦٦ - ١٩٤.

- (٦٤) رواه الإمام أحمد ، انظر: الفتح الرباني، الساعاتي، كتاب السيرة النبوية باب ما جاء في عرض الرسول ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب في مواسم الحج، ج ٢٠، ط، [القاهرة: دار الشهاب، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ] ص ٢٦٥، حديث رقم ١٣١.
- (٦٥) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ج ٣، مرجع سابق، ص ٤٣.
- (٦٦) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ج ٣، مرجع سابق، ص ٤٥.
- والسيرة النبوية، ابن هشام، ج ٢، ط، [الأردن: دار المنار ١٤٠٩هـ] ص ٨١ - ٨٣.
- (٦٧) رواه الإمام البخاري ، انظر: الفتح ، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، وبيعة العقبة، ج ٣، مرجع سابق، ص ٢٦٠، حديث رقم ٣٨٩٢.
- (٦٨) مصعب بن عمير: هو السيد الشهيد السابق البدري القرشي العبدري، أول من قدم من المهاجرين، قتل يوم أحد ولم يترك إلا نمرة.
- انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج ١، مرجع سابق، ص ١٤٥ - ١٤٨.
- (٦٩) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج ٢، ط، [مؤسسة علوم القرآن] ص ٤٣٤، والطبقات الكبرى ، ابن سعد، ج ١، ط، [بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ] ص ٢٢٠.
- (٧٠) البراء بن معرور: هو البراء بن معرور بن صخر، السيد النقيب أبو بشر الأنصاري الخزرجي - أحد النقباء ليلة العقبة، ابن عمه سعد بن معاذ، كان فاضلاً تقياً، مات في صفر قبل قدوم النبي ﷺ بشهر.
- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، مرجع سابق، ص ٢٦٧ - ٢٦٩.
- (٧١) رواه الإمام أحمد، انظر: الفتح الرباني، الساعاتي، ج ٢٠، كتاب السيرة النبوية، باب قدوم سبعمين رجلاً وامرأتين من الأنصار بعد العقبة الأولى ، ط ، [القاهرة: دار الشهاب ١٣٩٢هـ] ص ٢٧٠، رقم ١٣٦.
- (٧٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج ١، مرجع سابق، ص ٤٨٠ - ٤٨٢.
- (٧٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج ٢، ط، [مصر: دار المعارف، الطبعة الرابعة] ص ٣٧٧ - ٣٧٩.
- (٧٤) انظر: دلائل النبوة، البيهقي، ج ٢، مرجع سابق، ص ٤٧٦، ومختصر سيرة الرسول ﷺ عبد الله النجدي، ط، [مصر: المطبعة السلفية] ص ١٦٧.
- (٧٥) انظر: مروج الذهب، المسعودي، ج ٢، ط، [بيروت] ص ٢٧٩.
- (٧٦) انظر: الإصابة، ابن حجر، ج ١، مرجع سابق، ص ٤١٥، والفتح الرباني، الساعاتي، ج ٢٠، مرجع سابق، ص ٢٩٣.
- (٧٧) انظر: الروض الأنف، السهيلي، ج ٢، مرجع سابق، ص ٢٤٨.
- (٧٨) رواه الإمام مسلم ، انظر: شرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائعهم ، ج ١٢، ط، [بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة] ص ٩٨ - ٩٩.
- (٧٩) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج ١، مرجع سابق، ص ١٦٧ - ١٧٢ والمجتمع المدني في عهد النبوة، العمري، ط، [المدينة، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ] ص ١١٤.
- (٨٠) عبد الله بن سلام هو عبد الله بن سلام بن الحارث، الإمام الجبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص النبي ﷺ، أسلم وقت الهجرة وقدم النبي ﷺ المدينة،

- وهو من أحبار اليهود.
- انظر : نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد عقيل موسى، ج ١، ط، [جدة: دار الأندلس للنشر والتوزيع ١٤١١هـ] ص ١٧٢ - ١٧٣.
- (٨١) انظر : سنن أبي داود، ج ٣، ط، [سورية: الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ] ص ٤٠٤ - ٤٠٧.
- (٨٢) سورة البقرة، الآية : ١٠٩.
- (٨٣) سورة الحج، الآية : ٣٩.
- (٨٤) سورة البقرة: الآية : ١٩٠.
- (٨٥) سورة التوبة: الآية : ٤١.
- (٨٦) سورة التوبة: الآية : ٣٦.
- (٨٧) رواء الإمام البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ج ١، مرجع سابق، ص ٤١٥، حديث رقم ١٣٩٩.
- (٨٨) الإمام مسلم: هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاز القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح، أحد أئمة الحفاظ وأعلام المحدثين، توفي يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١ هـ بنيسابور وعمره ٥٥ سنة.
- انظر : وفيات الأعيان - ابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس، ج ٥، ط، [بيروت: دار صادر ١٣٩٧هـ].
- (٨٩) رواء الإمام مسلم، انظر : شرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث، ج ١٢، مرجع سابق، ص ٣٧، حديث رقم ١٧٣١.
- (٩٠) انظر : زاد المعاد، ابن القيم، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٠٠.
- (٩١) ثمامة بن أثال: هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد الله بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي.
- أهدر الله دمه، فخرج معتمراً فأخذته رسل رسول الله ﷺ فأتوا به الرسول الله، فقال ثمامة: إن تعاقب تعاقبُ ذا ذنب، وإن تعف تعف عن شاكِر « فعفا عنه رسول الله ﷺ فأسلم ثمامة.
- انظر : الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٥، ط، [بيروت: دار صادر] ص ٥٥٠ - ٥٥١.
- (٩٢) رواء الإمام البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، ج ٥، مرجع سابق، ص ١١٧. ورواه الإمام مسلم، كتاب الجهاد، باب ربط الأسير وحبسه، ج ١٢، مرجع سابق، ص ٨٧. وأحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، عبد اللطيف عامر، ط، [القاهرة: دار الكتاب المصري] ص ١٤٧.
- (٩٣) أطلق المؤرخون اسم « الغزوة » على المجموعة أو الجيش من المسلمين الذي يقوده الرسول ﷺ بنفسه، واسم « السرية » على المجموعة أو الجيش من المسلمين الذي يقوده أحد أفراد المسلمين.
- انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله، مرجع سابق، ص ٣٢٦، هامش رقم [٤٠].
- (٩٤) وتسمى سرية (سيف البحر) انظر : الطبقات، ابن سعد، ج ٢، مرجع سابق، ص ٦.

- (٩٥) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج ٢، مرجع سابق، ص ٢٧٥.
- (٩٦) انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٨٨.
- (٩٧) انظر: المصنف، الصنعاني، ج ٥، ط، [المجلس العلمي، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ] ص ٢٩٤.
- (٩٨) هو صخر بن حرب بن أمية رأس قريش وقائدهم يوم الخندق. تداركه الله بالإسلام يوم الفتح فصلاح إسلامه. شهد قتال الطائف فقلعت عينه ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك. توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين وله نحو من تسعين سنة.
- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٢، ط، [بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة ١٤١٤هـ] ص ١٠٥.
- (٩٩) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٦٣ - ١٦٥، وتاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج ٢، مرجع سابق، ص ٤٣٥.
- (١٠٠) انظر: الإصابة، ابن حجر، ج ٢، ط، [مصر: مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ] ص ٢٥٢ - ٢٥٣.
- (١٠١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، مرجع سابق، ص ٢٣٢.
- (١٠٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج ٢، مرجع سابق، ص ٥١٢.
- (١٠٣) أنس بن النضر: هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبي ﷺ، لما انهزم الناس يوم أحد لم ينهزم أنس بن النضر فلقبه سعد بن معاذ فقال: أين يا أبا عمر فقال أنس: وأما لريح الجنة يأسد إني أجدّها دون أحد، استشهد يوم أحد، يقول أنس رضي الله عنه: لقد وجدنا به سبعين ضربة فما عرفته إلا أخته بينانه. انظر: السيرة النبوية، أبو الحسن، الندوي، [جدة - دار الشروق - الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ] ص ١٩٥.
- (١٠٤) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٤، مرجع سابق، ص ٩ - ٦٠، والكمال، ابن الأثير، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٤٩.
- (١٠٥) نعيم بن مسعود: هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، أسلم في غزوة الخندق، وجاء رسول الله ﷺ فقال: إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله: إنما أنت رجل واحد، فاخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة. فأوقع بين كفار قريش ويهود بني قريظة.
- انظر: الرحيق المختوم، صفى الدين المباركفوري [المغرب: المكتب التعليمي السعودي الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ] ص ٣٥٦.
- (١٠٦) انظر: القصة بتفاصيلها عند ابن القيم من زاد المعاد، ج ٣، مرجع سابق، ص ٢٧٤.
- (١٠٧) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٤، مرجع سابق، ص ٩٢ - ١٣٠.
- (١٠٨) رواه الإمام البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ - من الأحزاب، مرجع سابق، ص ١٢٥٥، حديث رقم ٤١٢٢.
- (١٠٩) سورة الفتح، الآية: ١.
- (١١٠) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٢٧١، حديث رقم ٤١٧٧.

- (١١١) سورة سبأ، الآية: ٢٨ .
- (١١٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨ .
- (١١٣) سورة الفرقان، الآية: ١ .
- (١١٤) رواء الإمام مسلم، كتاب الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً .
- انظر: مختصر صحيح مسلم، المنذري، مرجع سابق، ص ٧٥، حديث رقم ٢٥٧ .
- (١١٥) سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩ - ٣١ .
- (١١٦) عمرو بن أمية الضمري: هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس أبو أمية الضمري، صاحب رسول الله - ﷺ - شهيد بدرأً وأحدأً مع المشركين، أسلم حين انصرف المسلمون من أحد، توفي عمرو بن أمية الضمري زمن معاوية .
- انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٥، مرجع سابق، ص ١٨١ .
- (١١٧) النجاشي: واسمه أصحمة ملك الحبشة، معدود في الصحابة - رضي الله عنهم -، توفي في حياة النبي - ﷺ - فصلى عليه الناس صلاة الغائب .
- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، مرجع سابق، ص ٤٢٨ - ٤٣٣ .
- (١١٨) رواء مسلم، باب كتب النبي إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، ج ٣، ط، [بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ] ص ١٣٩٧، رقم الحديث ١٧٧٤ .
- (١١٩) عبد الله بن حذافة: هو عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي، أبو حذافة السهمي أحد السابقين، هاجر إلى الحبشة، ونفذ رسول الله رسولا إلى كسرى، مات في خلافة عثمان - رضي الله عنهما - .
- انظر: نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد حسن عقيل، ج ١، مرجع سابق، ص ٩٩ .
- (١٢٠) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج ٢، مرجع سابق، ص ٦٥٤ - ٦٥٥ .
- (١٢١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج ١٦، مرجع سابق، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، حديث ٤٤٢٤ .
- (١٢٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤ .
- (١٢٣) رواء الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، ج ٦، مرجع سابق، ص ١٢٨، حديث رقم ٢٩٤٠ .
- (١٢٤) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ج ١، مرجع سابق، ص ١١٩ - ١٢٤ .
- (١٢٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله، مرجع سابق، ص ٥٢٤ .
- (١٢٦) صحيح مسلم، ج ٢، مرجع سابق، حديث رقم ١١٣ - ١١٦ .
- (١٢٧) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج ٣، مرجع سابق، ص ١١٤ - ١١٥ والسيرة النبوية، ابن هشام، ج ٤، مرجع سابق، ص ٦١ .
- (١٢٨) رواء الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ج ٧، مرجع سابق، ص ٥٩٧ - ٥٩٨، حديث رقم ٤٢٨٠ .
- (١٢٩) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج ٤، مصدر سابق، ص ٧٧ - ٧٨، الطبقات، ابن سعد، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٤١ - ١٤٢ .
- (١٣٠) سورة الإسراء، الآية: ٨١ .

- (١٣١) انظر: الطبقات، ابن سعد، ج٢، مرجع سابق، ص ١٤٧.
- (١٣٢) انظر البداية والنهاية، ابن كثير، ج٤، مصدر سابق، ص ٢٧٨ - ٣١٨.
- (١٣٣) سورة النصر، الآيات: ١ - ٣.
- (١٣٤) عبد الله بن عباس: حبر الأمة، فقيه العصر، إمام التفسير أبو العباس عبد الله ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب.
- مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي نحواً من ثلاثين شهراً، توفي سنة ثمان أو سبع وستين، عاش إحدى وسبعين سنة.
- انظر: الأعلام، الزركلي، ج٩، مرجع سابق، ص ٣٢١ - ٣٥٩.
- (١٣٥) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب المغازي، باب رقم ٥١، ج٧ مرجع سابق، ص ٦١٣، حديث رقم ٤٢٩٤.
- (١٣٦) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج٥، مرجع سابق، ص ١٦٧.
- (١٣٧) انظر: إمتاع الأسماع، المقرئ، ج١، مرجع سابق، ص ٥١٠ - ٥٢٢ وتاريخ البعوي، ج٢، ط [بيروت: دار صادر ١٩٦٠] ص ١٠٩ - ١١٢.
- (١٣٨) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب المغازي، ج٧، مرجع سابق، ص ٧٠٩، حديث ٤٤٠٣.
- وانظر: تاريخ الدعوة، جميل المصري، ط، [المدينة، مكتبة الدار، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ] ص ٢٣.
- (١٣٩) سورة المائدة، الآية: ٣.
- (١٤٠) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب المغازي، باب رقم ٨٦، ج٨، مرجع سابق، ص ٧٥٨، حديث رقم ٤٤٦٩.
- (١٤١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج٧، مرجع سابق، ص ٧٣٦.
- (١٤٢) انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير، مصطفى أديب البنا، ط، [دمشق، مؤسسة علوم القرآن] ص ٣٢٧.
- (١٤٣) رواه الإمام البخاري. انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ج١٣ مرجع سابق، ص ٢١٨، حديث رقم ٧٢١٧.
- (١٤٤) رواه الإمام البخاري، كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب، انظر: مختصر صحيح الإمام البخاري، الزبيدي، ط، [بيروت: دار النفائس الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ] ص ٥٥، حديث رقم ١٥٠.
- (١٤٥) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب اللباس، باب الأكسية والخمائن ج١٠، مرجع سابق، ص ٢٨٨، حديث رقم ٥٨١٥.
- (١٤٦) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب مناقب الأنصار، باب قول الرسول ﷺ عن الأنصار اقبلوا من محسنهم، ج٧، مرجع سابق، ص ١٥١، حديث رقم ٣٧٩٩.
- (١٤٧) رواه الإمام البخاري. انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته ج٧، مرجع سابق، ص ٧٣٨، حديث رقم ٤٤٣١.

- (١٤٨) رواه الإمام مسلم، كتاب صفة الجنة، ج ٤، مرجع سابق، ص ٢٢٠٨، حديث رقم ٢٨٨٠.
- (١٤٩) رواه الإمام ابن ماجة انظر: صحيح ابن ماجة، الألباني، ج ١، ط، [بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ] ص ٢٧١.
- (١٥٠) رواه الإمام البخاري، انظر: ابن حجر، كتاب المغازي، باب مرض النبي - ﷺ - ووفاته، ج ٧، مرجع سابق، ص ٧٥٥، حديث رقم ٤٤٦٢.
- (١٥١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، مرجع سابق، ص ٧٣٦.
- (١٥٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٥، مرجع سابق، ص ١٨٩.
- (١٥٣) سورة الضحى، الآيتان: ٤، ٥.
- (١٥٤) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٥، مرجع سابق، ص ١٨٩.
- (١٥٥) ابن رجب: هو الإمام الحافظ العلامة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي، ويشتهر بابن رجب، وهو لقب جده، ولد سنة ٧٣٦ هـ، طلب العلم على يدي والده وغيره من العلماء في عصره، كان - رحمه الله - بارزاً في مجال الوعظ، له مصنفات عديدة في علوم القرآن والحديث والفقه والوعظ والفضائل، توفي - رحمه الله - سنة ٧٩٥ بدمشق.
- انظر: مقدمة كتاب جامع العلوم والحكم ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس [بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ] ص ٢٥ - ٥٢.
- (١٥٦) انظر: لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ط، [بيروت، دار الجبل] ص ١١٤.
- (١٥٧) انظر: الدرر في اختصار المغازي، مصطفى آغا، ط، [دمشق: مؤسسة علوم القرآن] ص ٣٣٠ - ٣٣١، والمصنف، عبد الرزاق، ج ٥، ط [المكتب الإسلامي] ص ٤٣٣ - ٤٣٤.
- (١٥٨) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٢، مرجع سابق، ص ٨٤.
- (١٥٩) انظر: لطائف المعارف، ابن رجب، مرجع سابق، ص ١١٤، ١١٥.
- (١٦٠) انظر: الفصول في سيرة الرسول، ابن كثير، ط، [القاهرة: دار الصفا] ص ١٥٠.
- (١٦١) السُّنَح: موضع بموالي المدينة، بينه وبين منزل النبي - ﷺ - ميل. انظر: مرض النبي - ﷺ - ووفاته، خالد أبو صالح، مرجع سابق، ص ٢١ هامش رقم ١.
- (١٦٢) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب المغازي، باب مرض النبي - ﷺ - ووفاته، ج ٧، مرجع سابق، ص ٧٥١، حديث رقم ٥٢.
- (١٦٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
- (١٦٤) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب المغازي، باب مرض النبي - ﷺ - ووفاته، ج ٧، مرجع سابق، ص ٧٥٢، حديث رقم ٤٤٥٤.
- (١٦٥) القرطبي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، المفسر، صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن، «والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن».
- استقر بعنية ابن خصيب، سنة ٦٧١ هـ.
- انظر: مقدمة كتابه الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١، ط، [بيروت: دار إحياء التراث العربية الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ] ص ٥.

(١٦٦) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج ٤، ط، [القاهرة: طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب] ص ٢٢٢.

(١٦٧) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، مرجع سابق، ص ٧٥٣.

(١٦٨) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ومن صحب النبي ورآه من المسلمين فهو من أصحابه، ج ٧، مرجع سابق، ص ٥، حديث رقم ٣٦٥٠.

(١٦٩) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم البيهاني، ط، [بيروت: طبعة ١٣٩٢ هـ] ص ٥٨ - ٥٩،

(١٧٠) انظر: فقه السيرة النبوية، البوطي، ط، [بيروت: دار الفكر، الطبعة العاشرة ١٤١١ هـ] ص ٩٧.

(١٧١) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط، [الاسكندرية: دار عمر بن الخطاب] ص ٧، والدعوة إلى الله، توفيق الواعي، ط، [الكويت: مكتبة الفلاح] ص ٨١، والدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، ابن باز، مرجع سابق، ص ٢٩، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية ج ١٥، مصدر سابق، ص ١٥٧ - ١٥٨، ومرشد الدعاة، محمد الخطيب، ط، [بيروت: دار المعرفة] ص ٢٣.

(١٧٢) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ج ٨، مصدر سابق، ص ٦١٩، حديث رقم ٤٩٨١.

(١٧٣) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(١٧٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

(١٧٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٤.

(١٧٦) انظر: الإنشقاق في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ٢، ط، [مصر: مطبعة الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ] ص ١٤٨. وإعجاز القرآن، الباقلاني، ج ١، ط، [الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ] ص ٥٨، وبيان إعجاز القرآن، الخطابي، ط، [الطبعة الثانية] ص ٢٧.

(١٧٧) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(١٧٨) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(١٧٩) رواه الإمام مالك، انظر: الموطأ، كتاب الجامع باب النهي عن القول بالقدر، ط، [الرياض: رئاسة البحوث، الطبعة السابعة ١٤٠٤ هـ] ص ٦٤٨، حديث رقم ١٦١٩.

(١٨٠) أخرجه الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ١، ط، [بيروت: دار الكتاب العربي] ص ٩٣، وصحيح الجامع، وهو صحيح، انظر: الألباني، ج ١، ط، [بيروت: المكتب الإسلامي] ص ٥٦٦ رقم ٢٩٣٧.

(١٨١) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب الشروط في الجهاد، ج ٥، مرجع سابق، ص ٢٧٣١، حديث ٢٧٣١.

(١٨٢) البراء بن عازب: هو البراء بن عازب ابن الحارث، الفقيه الكبير أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، توفي سنة ٧٢ هـ، وقيل ٧١ عن بضع وثمانين سنة. غزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة.

انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١، ط، [بيروت: دار الكتاب العربي] ص ١٧٧.

(١٨٣) رواه الإمام البخاري، انظر: الفتح، ابن حجر، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج ٧، مرجع

- سابق، ص ٥٠٥ ، حديث رقم ٤١٥٠ .
- (١٨٤) زيد بن أسلم : هو الإمام الحجة القدوة أبو عبد الله العدوي المدني الفقيه من العلماء العاملين ، توفي ١٣٦ هـ .
- انظر : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج ٥ ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ - ٣١٧ .
- (١٨٥) رواه الإمام البخاري ، انظر : الفتح ، ابن حجر ، كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، ج ٧ ، مرجع سابق ، ص ٥١٨ ، حديث رقم ٤١٧٧ .
- (١٨٦) انظر : الفتح الرباني ، الساعاتي ، ج ٤ ، مرجع سابق ، ص ٣٢٥ .
- (١٨٧) انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، مهدي رزق الله ، مرجع سابق ، ص ٤٩٥ .
- (١٨٨) سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .
- (١٨٩) رواه الإمام مسلم ، ج ٣ ، ط ، [بيروت : دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤١٦] ص ١١٠٩ ، حديث رقم ١٧٦٣ .
- (١٩٠) رواه الإمام البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة .
- انظر : مختصر صحيح البخاري ، الزبيدي ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦ ، حديث رقم ١٢٦٣ .
- (١٩١) سورة طه، الآية : ١٢٤ .
- (١٩٢) انظر : فتح القدير ، الشوكاني ، ج ٣ ، ط ، [دار الفكر] ص ١٢٠ .
- (١٩٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن ، ابن سعدي ، ج ٥ ، مرجع سابق ، ص ٥٥١ .
- (١٩٤) انظر : فقه السيرة ، البوطي ، مرجع سابق ، ص ١١٣ - ١١٤ .
- (١٩٥) رواه الإمام البخاري ، انظر : الفتح ، ابن حجر ، ج ١ ، كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ .
- (١٩٦) سورة القلم، الآية : ٤٦ .
- (١٩٧) سورة ص، الآيتان : ٨٦ ، ٨٧ .
- (١٩٨) انظر : فقه الدعوة إلى الله ، حنكه ، ج ١ و ط [دمشق : دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ] ص ١٦٩ - ١٧٠ .
- (١٩٩) النووي : هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي أبو زكريا محيي الدين ، مولده ووفاته بسورية وإليها نسبته ، له مؤلفات كثيرة منها «رياض الصالحين» ، المنهاج في شرح صحيح مسلم ،
- انظر : تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ج ٤ ، ط ، [حيدر آباد الدكن : مجلس دائرة المعارف العثمانية] ص ١٤٧ ، الأعلام ، الزركلي ، ج ٩ ، [الطبعة الثانية] ، مرجع سابق ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
- (٢٠٠) المنهاج في شرح صحيح مسلم ، النووي ، ج ٢ ، ط [بيروت : دار القلم] ص ٥٦٢ .
- (٢٠١) ابن حجر : هو أحمد بن علي بن محمد الكناني المسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين بن حجر ، أصله من عسقلان بفلسطين ، مولده سنة ٧٧٣ هـ ووفاته ٨٥٢ هـ بالقاهرة .
- قال عنه السخاوي : انتشرت مصنفاته في حياته ، وتهادتها الملوك ، وكتبها الأكابر .
- تصانيفه كثيرة جليلة منها : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، تهذيب التهذيب ، فتح الباري شرح

صحيح البخاري.

- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٥، مصدر سابق، ص ٢٩٤.
- (٢٠٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ط [دار البيان، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ] ص ٣٤.
- (٢٠٣) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٩.
- (٢٠٤) رواه الإمام البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها - رضي الله عنها -
- انظر: مختصر صحيح البخاري، الزبيدي، مرجع سابق، ص ٣٥٠ - ٣٥١، حديث رقم ١٥٧٤.
- (٢٠٥) انظر: فقه السيرة، الغضبان، ص ١٣٩.
- (٢٠٦) انظر: ص ٤١.
- (٢٠٧) انظر: فقه السيرة، الغزالي، مرجع سابق، ص ١٧٩.
- (٢٠٨) انظر: فقه السيرة، البوطي، مرجع سابق، ص ٢١٩.
- (٢٠٩) رواه الإمام مسلم، كتاب البر، باب المؤمنون كرجل واحد في التراحم، والتعاطف.
- انظر: مختصر صحيح مسلم، المنذري، مرجع سابق، ص ٤٧٢، حديث رقم ١٧٧٤.
- (٢١٠) سورة التوبة، الآية: ٧١.
- (٢١١) تقدم تخريجه، ص ٥٩.
- (٢١٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
- (٢١٣) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج ٢، ط [بيروت: دار الفكر] ص ٢١٠.
- (٢١٤) رواه الإمام مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٤٧٨.
- (٢١٥) رواه الإمام أحمد، المستند، ج ٥، ص ٢٥١، وابن حبان في صحيحه رقم ٢٥٧ والحاكم في المستدرک، ج ٤، ص ٥٢، وهو صحيح، انظر، صحيح الجامع الألباني، ج ٥، ص ١٥، حديث رقم ٤٩٥١.
- (٢١٦) انظر: الأحكام السلطانية، الماوردي، ط، [مصر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ] ص ٣، والأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي ط [مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي] ص ٣.
- (٢١٧) ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف، المؤرخ، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس، اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر من تاريخ العرب والعجم والبربر» في سبعة مجلدات أولها المقدمة، ولد سنة ٧٣٢هـ وتوفي سنة ٨٠٨هـ انظر: الأعلام، الزركلي، ج ٤، مرجع سابق، ص ١٠٦ - ١٠٧.
- (٢١٨) انظر: المقدمة، ابن خلدون، ط [بيروت: المطبعة المصرية ١٩٧٩م] ص ١٩١.
- (٢١٩) انظر: السياسة الشرعية، ابن تيمية، ط، [بيروت: دار الكتب العربية، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م] ص ١٣٨.
- (٢٢٠) متفق عليه، انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ج ٢، ط، [تركيا] ص ١٠٧.
- (٢٢١) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم البيهاني، ط [بيروت: الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ] ص ١٢١ - ١٢٢.
- (٢٢٢) رواه الإمام الترمذي، في أبواب الفتن باب في لزوم الجماعة، ج ٣، ط [بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية،

١٤٠٣هـ [ص ٣١٥ .

- (٢٢٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٢ .
(٢٢٤) انظر : فقه السيرة ، الغزالي ، مرجع سابق ، ص ٢٦٨ .
(٢٢٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٥ .
(٢٢٦) انظر : فقه السيرة ، البوطي ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧ .
(٢٢٧) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .
(٢٢٨) انظر : فقه السيرة ، الغضبان ، مرجع سابق ، ص ٤٧٣ .
(٢٢٩) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٧٥ .
(٢٣٠) انظر : زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ٣ ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .
(٢٣١) انظر : فقه السيرة ، الغضبان ، مرجع سابق ، ص ٧٢٧ .
(٢٣٢) رواه الإمام مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ أنا أمانة لأصحابي ، وأصحابي أمانة لأمتي ، انظر ، مختصر صحيح مسلم ، المنذري ، مرجع سابق ، ص ٤٦٤ ، حديث رقم ١٧٤١ .
(٢٣٣) أخرجه الحاكم : انظر المستدرک ، ج ٤ ، ط [بيروت : دار الكتب العلمية] ص ٤٣٨ ، وصححه الألباني : انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم ١٢٦٧ .
(٢٣٤) انظر : السيرة النبوية ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٦٥٥ .
(٢٣٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، القرطبي ، ج ٢ ، ط ، [القاهرة : الهيئة المصرية] ص ١٧٦ .
(٢٣٦) سنن ابن ماجه ، ج ١ ، ط [مصر : دار إحياء الكتب العربية] ص ٢٥٣ ، حديث رقم ١٦٣٤ .
(٢٣٧) رواه الإمام البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصي ، ج ١١ ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ ، حديث رقم ٦٤٨٢ .
(٢٣٨) انظر : التفسير القيم ، للإمام ابن القيم ، ج ١ ، ط ٢ [بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ] جمع أويس الندوي ، تحقيق محمد حامد الفقي ص ٣٤٤ .
(٢٣٩) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤ .
(٢٤٠) سورة الأحزاب ، الأيتان : ١٣ - ٢٠ .
(٢٤١) فقه الدعوة ، حنكة ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .
(٢٤٢) سورة فاطر ، الآية : ٨ .
(٢٤٣) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة «كبر» مرجع سابق .
(٢٤٤) سورة الصافات ، الآية : ٣٥ .
(٢٤٥) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، ج ١ ، ط [المغرب ، وزارة الأوقاف الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ] ص ١٨٠ .
(٢٤٦) سورة البقرة ، الآية : ٣٤ .
(٢٤٧) سورة غافر ، الآية : ٥٦ .
(٢٤٨) سورة الأنبياء ، الآية ٣٦ .
(٢٤٩) سورة الأعراف ، الآية : ٨٦ .

- (٢٥٠) انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ص ١١١ ، وانظر : النظرية الخلقية عند ابن تيمية ، د. محمد عبد الله عفيفي ، ط [الرياض : مركز الملك فيصل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ] ص ٤٩٦ - ٤٩٧ .
- (٢٥١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٨ .
- (٢٥٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ط ٢ [بيروت : دار الفكر ١٤٠٨هـ] ص ٥٩٧ .
- (٢٥٣) سورة الأنعام ، الآية : ٥٣ .
- (٢٥٤) انظر : السيرة النبوية ، ابن كثير ، ج ١ ، ط [بيروت : دار المعرفة ١٣٩٦هـ] ص ٥٠٦ .
- (٢٥٥) سورة النساء ، الآيتان : ٥٣ - ٥٤ .
- (٢٥٦) سورة الزخرف ، الآية : ٢٣ .
- (٢٥٧) القصة بأكملها في صحيح البخاري ، انظر : الفتح ، ابن حجر ، ج ٨ ، كتاب التفسير ، باب إنك لا تهدي من أحببت ، مرجع سابق ، ص ٣٦٥ ، حديث رقم ٤٧٧٢ .
- (٢٥٨) السيرة النبوية ، الذهبي ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .
- (٢٥٩) انظر : تهذيب مدارج السالكين ، ابن القيم ، تهذيب عبد المنعم العزبي ط [جدة : دار المطبوعات الحديثة] ص ٤١٦ .
- وللاستزادة من معرفة هذه الموانع وسبل علاجها ، انظر : دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ، عبد الرحمن الملاحي ، ط [الرياض : دار عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤١٤هـ] .
- (٢٦٠) سورة الفتح ، الآية : ١ .
- (٢٦١) رواه الإمام أحمد ، انظر : الفتح الرباني ، الساعاتي ، كتاب السيرة النبوية باب ماجاء في غزوة الخندق ح ٢١ ، مرجع سابق ، ص ٧٨ رقم ٢٢٨٢ .
- (٢٦٢) انظر : التفاضل والتشاؤم ، يوسف أسعد ، ط ، [مصر : دار النهضة] ص ٣٢٩ - ٣٣٢ .
- (٢٦٣) سورة الإسراء ، الآية : ٨١ .

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الإنتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ط [مصر : مطبعة الحلبي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ] .
- ٢ - أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية ، عبد اللطيف عامر ، ط [القاهرة : دار الكتاب المصري] .
- ٣ - الأحكام السلطانية ، أبو يعلى الحنبلي ، ط [مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي] .
- ٤ - الأحكام السلطانية ، الماوردي ، ط [مصر : مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثامنة ، ١٣٩٣هـ] .
- ٥ - أحكام القرآن ، الجصاص ، ط [بيروت : دار الفكر] .
- ٦ - أدب الكتاب ، أبو بكر محمد الصولي ، ط [القاهرة : ١٣٤١هـ] .
- ٧ - أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي ، عبد الله بن محمد الموسى ، ط [الرياض : عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ] .
- ٨ - الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، ط [مصر : مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ] .
- ٩ - الأصنام ، أبو المنذر بن الكلبي ، ط [القاهرة : المطبعة الأميرية ١٣٣٢هـ] .
- ١٠ - أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ، ط [الاسكندرية : دار عمر بن الخطاب] .
- ١١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط [الرياض : رئاسة البحوث ١٤٠٣هـ] .
- ١٢ - إعجاز القرآن ، الباقلائي ، ط [الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ] .
- ١٣ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط [الرياض : وزارة المعارف ، الطبعة الثالثة] .
- ١٤ - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، السخاوي ، ط [بيروت : دار الكتاب العربي] .
- ١٥ - إمتاع الأسماع ، المقرئ ، ط [القاهرة : دار الأنصار] .
- ١٦ - أنساب الأشراف ، البلاذري ، ط [مصر : دار المعارف] .
- ١٧ - البداية والنهاية ، ابن كثير ، ط [القاهرة : مطبعة الفجالة] .
- ١٨ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي ، ط [القاهرة : ١٩٢٥م] .
- ١٩ - بيان إعجاز القرآن ، الخطابي ، ط [الطبعة الثانية] .
- ٢٠ - تاريخ ابن الوردي ، زين الدين عمر بن الوردي ، ط [القاهرة : جمعية المعارف ١٣٨٥هـ] .
- ٢١ - تاريخ بغداد ، البغدادي ، ط [بيروت : دار الكتاب العربي] .
- ٢٢ - تاريخ الدعوة ، جميل المصري ، ط [المدينة : مكتبة الدار ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ] .
- ٢٣ - تاريخ الرسل والملوك ، الطبري ، ط [مصر : دار المعارف ، الطبعة الرابعة] .

- ٢٤ - تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، حمزة الأصفهاني ، ط [طبعة برلين] .
- ٢٥ - تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ط [بغداد ١٩٥٩م] .
- ٢٦ - تاريخ يعقوبي ، أحمد يعقوبي ، ط [بيروت : دار صادر ١٣٧٩هـ] .
- ٢٧ - ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر الزاوي ، ط [بيروت : دار الفكر ، الطبعة الثالثة] .
- ٢٨ - التناول والتشاؤم ، يوسف أسعد ، ط [مصر : دار النهضة] .
- ٢٩ - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ط [بيروت : دار الفكر ١٤٠٨هـ] .
- ٣٠ - التفسير القيم لابن القيم ، أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ط [بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ] .
- ٣١ - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن سعدي ، ط [الرياض : رئاسة البحوث ١٤٠٤هـ] .
- ٣٢ - تهذيب مدارج السالكين ، عبد المنعم العربي ، ط [جدة : دار المطبوعات الحديثة] .
- ٣٣ - جامع البيان في تفسير القرآن ، ابن جرير الطبري ، ج ١٣ ، ط [بيروت : دار المعرفة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ] .
- ٣٤ - الدرر في اختصار المغازي والسير ، مصطفى أديب البناء ، ط [دمشق : مؤسسة علوم القرآن] .
- ٣٥ - الدعوة إلى الله ، توفيق الداعي ، ط ، [الكويت : مكتبة الفلاح] .
- ٣٦ - الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، عبدالعزيز بن باز ، ط ، [الرياض : سفير ١٤١٥هـ] .
- ٣٧ - دلائل النبوة ، البيهقي ، ط ، [بيروت : دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ] .
- ٣٨ - دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها ، عبد الرحمن الملاحي ، ط ، [الرياض : دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ] .
- ٣٩ - الرحيق المختوم ، صفى الدين المباركفوري ، ط ، [المغرب : المكتب التعليمي السعودي ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ] .
- ٤٠ - الروض الأنف ، السهيلي ، ط ، [القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩١هـ] .
- ٤١ - زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، ط ، [بيروت : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ] .
- ٤٢ - سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط ، [الرياض : مكتبة المعارف] .
- ٤٣ - سنن أبي داود ، ط ، [سورية : الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ] .
- ٤٤ - سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، ط ، [بيروت : مؤسسة الرسالة ، الطبعة العاشرة ، ١٤١٤هـ] .
- ٤٥ - السياسة الشرعية ، ابن تيمية ، ط ، [بيروت : دار الكتب العربية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م] .

- ٤٦ - السيرة النبوية ، ابن إسحاق ، ط ، [دمشق : دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ] .
- ٤٧ - السيرة النبوية ، ابن كثير ، ط ، [بيروت : دار المعرفة ١٣٩٦ هـ] .
- ٤٨ - السيرة النبوية ، ابن هشام ، ط ، [الطبعة الثانية ، ١٣٧٥ هـ] .
- ٤٩ - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، مهدي رزق الله ، ط ، [الرياض : مركز الملك فيصل] .
- ٥٠ - شرح صحيح مسلم ، النووي ، ط ، [بيروت : دار القلم] .
- ٥١ - صحيح ابن ماجه ، ناصر الدين الألباني ، ط ، [بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ] .
- ٥٢ - صحيح الجامع ، الألباني ، ط ، [بيروت : المكتب الإسلامي] .
- ٥٣ - صحيح الإمام البخاري ، ط ، [بيروت : المكتبة العصرية ١٤١١ هـ] .
- ٥٤ - الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ط ، [بيروت : دار صادر ، ١٣٨٨ هـ] .
- ٥٥ - علم التاريخ عند المسلمين ، فرانز روز نثال .
- ٥٦ - عنوان المجد في تاريخ نجد ، ابن بشر ، ج ١ ، ط ، [الرياض : دار الملك عبد العزيز ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٢ هـ] .
- ٥٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ط ، [القاهرة : دار الريان ، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ] . و ط [دار البيان ، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ] .
- ٥٨ - الفتح الرباني ، أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي ، ط ، [القاهرة : دار الشهاب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ] .
- ٥٩ - فتح القدير ، الشوكاني ، ط ، [دار الفكر] .
- ٦٠ - الفصول في سيرة الرسول ، ابن كثير ، ط ، [القاهرة : دار الصفا] .
- ٦١ - فقه الدعوة إلى الله ، عبد الرحمن بن حسن حبنكه الميداني ، ط ، [دمشق : دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ] .
- ٦٢ - فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، ط ، [بيروت : دار الفكر ، الطبعة العاشرة ، ١٤١٧ هـ] .
- ٦٣ - فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد شاكر الكتبي ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ط ، [لبنان : بيروت ، دار الثقافة] .
- ٦٤ - القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ط ، [دار الرسالة] .
- ٦٥ - الكامل في التاريخ ، أبو الحسن بن الأثير ، ط ، [بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ] .
- ٦٦ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، وضعه : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ، [استانبول : المكتبة الإسلامية] .
- ٦٧ - لسان العرب ، ابن منظور ، ط ، [بيروت : دار صادر] .
- ٦٨ - لطائف المعارف ، ابن رجب الحنبلي ، ط ، [بيروت : دار الجيل] .

- ٦٩ - المجتمع المدني في عهد النبوة ، العمري ، ط ، [المدينة : دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ] .
- ٧٠ - مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ .
- ٧١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، ط ، [المغرب : وزارة الأوقاف الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ] .
- ٧٢ - مختصر سيرة الرسول لله ، محمد بن عبد الوهاب ، ط ، [الرياض : رئاسة البحوث ١٤٠٨هـ] .
- ٧٣ - مختصر صحيح البخاري ، الزبيدي ، ط ، [بيروت : دار النفائس ، ط ، ١٤٠٩هـ] .
- ٧٤ - مختصر صحيح مسلم ، المنذري ، ط ، [بيروت : المكتب الإسلامي ، الطبعة السادسة ١٤٠٧هـ] .
- ٧٥ - مرض النبي لله ووفاته ، خالد أبو صالح ، ط ، [الرياض : دار الوطن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ] .
- ٧٦ - مرشد الدعاة ، محمد الخطيب ، ط ، [بيروت : دار المعرفة] .
- ٧٧ - مروج الذهب ، المسعودي ، ط ، [بيروت] .
- ٧٨ - المستدرك على الصحيحين ، الحاكم ، ط ، [بيروت : دار الكتاب العربي] .
- ٧٩ - المسند ، الإمام أحمد بن حنبل ، ط ، [بيروت : المكتب الإسلامي] .
- ٨٠ - المصنف ، عبد الرزاق الصنعاني ، ط ، [المكتب الإسلامي] .
- ٨١ - المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ط ، [تركيا : استانبول المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية] .
- ٨٢ - مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ط ، [بيروت : دار الفكر] .
- ٨٣ - المقدمة ، ابن خلدون ، ط ، [بيروت : المطبعة العصرية ١٩٧٩م] .
- ٨٤ - مناهج البحث في التاريخ الإسلامي ، والآثار الإسلامية ، السيد عبدالعزيز سالم ، ط ، [الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة] .
- ٨٥ - الموطأ ، للإمام مالك ، ط ، [الرياض : رئاسة البحوث ، الطبعة السابعة ١٤٠٤هـ] .
- ٨٦ - نزاهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ، محمد حسين عقيل موسى ، ط ، [جدة : دار الأندلس للنشر والتوزيع ١٤١١هـ] .
- ٨٧ - النظرية الخلقية عن ابن تيمية ، د. محمد عبدالله عفيفي ، ط ، [الرياض : مركز الملك فيصل ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ] .
- ٨٨ - وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ط ، [بيروت : دار صادر ١٣٩٧هـ] .